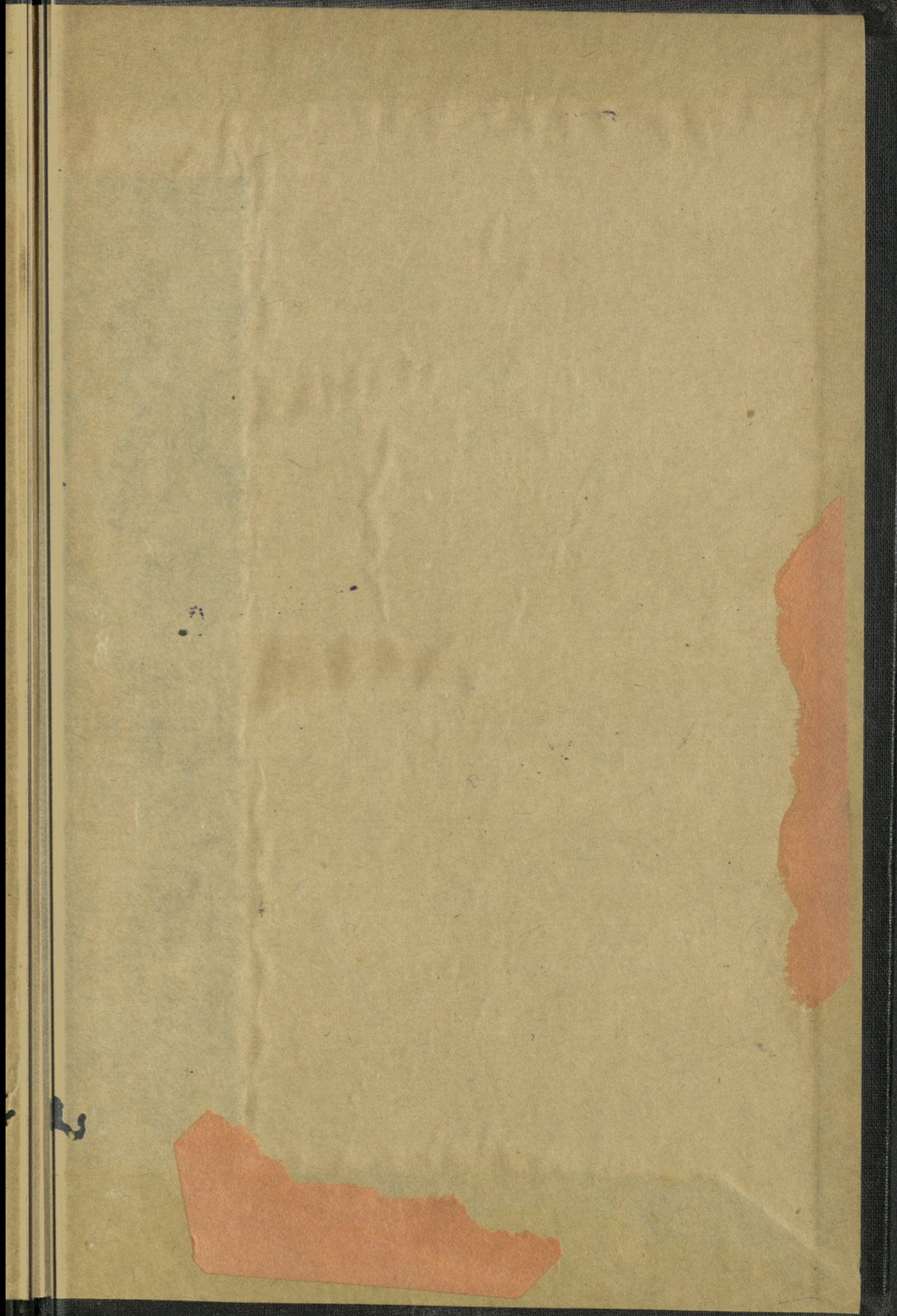


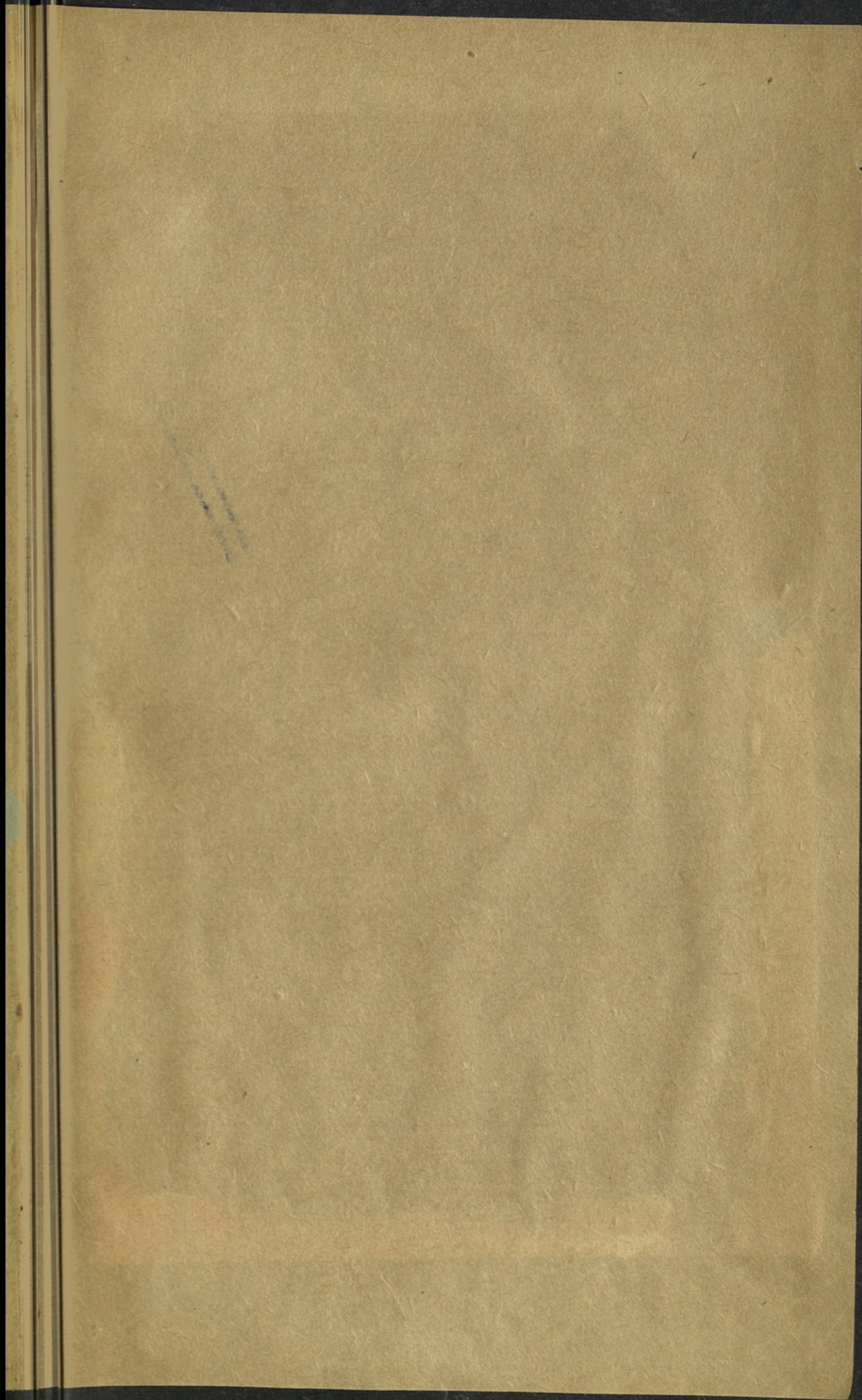
مصطفى

الجماد في الاسلام



13 JAN 1987

JAN





297
1199 JH
عَامِدُ صَيْطَقِي

الْجَهَادُ فِي الْأَسْلاَحِ

مَاضِيَّةٌ وَحَاضِرَةٌ

منشورات مكتبة المتنبي - بغداد

تلفون ٣٥٨٨

مطبعة القمارق - بغداد

توطئة

الحمد لله الذي قال (وأعرضوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل (لغزوة في سبيل الله أو روضة خير من الدنيا وما فيها) .

وبعد فإن في التراث الاسلامي مبادئ تشريعية اجتماعية قامت عليها حضارة كاملة وحفظت دولة ذات كيان ونظام قويم . ولقد عرت هذه المبادئ والنظم عوادي الزمن واصطاحت عليها عوامل الاجتماع فوقف منها ما وقف ومضى منها ما هو ماض . ثم تقلبت بالانسان تقلبات العصر الجديد فاذا بالتاريخ يعيد نفسه وإذا البشرية تصيبها العلل التي أصابتها قبل ظهور الاسلام ، فاستفاقت على انوار الحضارة الجديدة تلك المبادئ الغافية وتوجهت الى الانسانية تتعرض لها بوصف العلاج . وليس أدل على صلاح النظم الاسلامية من هذه الیقظة التي تحتضن منها الوحدة وتؤمن بالعقيدة وتستمسك بالجهاد .

مفهوم الجهاد في الاسلام

اثير البحث في عقيدة الجهاد في الاسلام في العصور الحديثة من التاريخ فوجد الباحثون فيها متسعاً من القول وكثرت حولها الآراء واشتد الجدل . ولقد كان المستشرقون على رأس هذه الثورة من البحث في ركن من أهم أركان الاسلام . والمستشرقون مولعون بمثل هذا الجدل والنقاش مما يتعلق بالعقلية الاسلامية وأديان الشرق وفلسفته ومذاهبه . وهذا الولع الخاص هو الذي هياً ظهور هذه الجماعة من الغربيين الذين أطلق عليهم « المستشرقون » . وقد كانت لهذه البحوث قيمتها التاريخية والاجتماعية العظيمة التي عادت على العلم والتاريخ بأعظم الفوائد . إن اسرار الشرق كانت بمثابة السحر لخواة المستشرقين فتحملوا من اجلها اعباء جساماً وتكاليف شاقة حتى قضوا اعمارهم في الانكباب على الدرس والبحث والتنقل في الاودية التي كانت موطن الانبياء ومهبط الوحي وجمع الاسرار .

أثار هؤلاء الباحثون الكلام على فلسفة الجهاد في الاسلام فأروا لهذه العقيدة دواعي غير الدواعي التي يعقلها المسلمون ، حتى لقد وسعوا كثيراً من انواع الغزو والحروب بين القبائل العربية أو بين حكوماتها بالحرب المقدسة . وقد بلغ شعورهم بهذا الرأي أن كان له اثر كبير في الآداب الاوربية فنظم فيه كثير من الشعر والملاحم والأقاصيص وكان لحوادث العرب في الاندلس والمغرب العربي الحظ الكبير من هذه

الآداب ويكفي أن نلمس شيئاً من هذا في أقاصيص (رولان) وأناشيد
المعروفة وغيرها .

ولقد كان من الطبيعي أن يكون لهذا الرأي المنحرف في فهم الاسلام
وعقائد الاسلام اثره عند المسلمين فتناولوا ما بلغهم منه بالبحث والتجريح
والتصحيح ولكن هذا الرجوع لم يعدل من رأي الغربيين في عقيدة
المسلمين لاسيما وإن هذه الآراء الغربية لم تنلها يد النقد ولم تصل الى علم
المسلمين إلا إبان اليقظة الاسلامية الحديثة ، وقد كانت قد استفحل
امرها واستوى سوقها ونضجت دراستها فلم يكن والحالة هذه من
المستطاع التخفيف من غلواء المستشرقين وتصحيح ما وقعوا فيه من
سوء الفهم لمبادئ الاسلام . هذا مع الفارق الكبير بين طريقة البحث
عند هؤلاء وأولئك . ذلك أن المسلمين عندما فجأتهم أبحاث الغربيين في
الاسلام استعظموا خطرها وتهولوا اثرها فثاروا عليها باساليب هي غير
الاساليب التي كتبت بها ، وردوا عليها بما لا يعد رداً بالاسلوب العلمي
المعروف . لذلك لم تنل هذه الردود حظاً كبيراً من عناية المستشرقين ولم
يحفلوا بشيء مما بلغهم منها إلا إذا كان بعيداً عن العاطفة والجدل العقيم .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ظهر في العالم
الاسلامي تلامذة أذكىاء من المسلمين اخذوا بخط من الثقافة الحديثة
وتعلموا منهج البحث واسلوب النقد واختلطوا بعماء الغربيين واطلعوا
على ما كتبوا في اللغات الاوربية نفسها . فكان لاحتكاكهم هذا
بالمستشرقين اثر عظيم في ثقافتهم الاسلامية . ففي مصر وسورية وافريقية

العربية كان المسلمون يناقشون هؤلاء مناقشة علمية في تاريخ الاسلام وعقائد الاسلام وعلوم المسلمين . وكذلك نشطت ثورة فكرية في الشرق الاسلامي كانت بداية النهضة الحديثة في الشرق القريب . وكان من بين المسائل التي تناولها الجدل ركن الجهاد واسباب الحروب في التاريخ الاسلامي .

ومجمل هذا أن العقيدة الغربية تركز الى أن الحروب لا تقوم بين المسلمين وغير المسلمين ولا بين المسلمين أنفسهم إلا بسبب من اسباب اختلاف العقيدة أو المذهب وتضارب الآراء الدينية . وعلى هذا الاساس تفسر الحروب التي قامت بين المسلمين وغير المسلمين والحروب التي ثارت بين المسلمين أنفسهم حتى الزمن القريب . وقد وضعت كتب واقاصيص شائعة بعضها آثار لكبار الكتاب والأدباء موضوعها حروب جارفة تجري فيها الدماء وتتصل المعارك وتسي النساء وتتهب الاموال ، وفي كل هذه الفتن ترى السبب الديني أو الاختلاف المذهبي المحور الذي تدور حوله هذه الروايات والا قاصيص . فاذا ما وجدوا خلافاً قام بين قبيلتين أدى الى حرب تلعسوا لهذه الحرب عللاً واسباباً من الدين أو خرافة شائعة بين الناس . وإذا وقعت فتنة بين دولتين من دول المسلمين رأوا لذلك وجهاً من وجوه الاختلاف بين نظريات الخلافة أو نزاعاً في الرأي في الدين . وكثير من الحروب التي قامت بين المسلمين نزاعاً على الحكم هي في نظر امثال هؤلاء الكتاب مظهر من مظاهر الجهاد المقدس أو دفاع عن بعض آراء المجتهدين . وقد وضع بعض الكتاب الفرنسيين

المتأخرين مؤلفاً جعل عنوانه « خيل الله » صور فيه تاريخ المسلمين في افريقية العربية نزاعاً دمويًا فظيماً لا يكاد يخرج من فتنة حتى يدخل في اخرى ، وهو يصور المسلمين في نزاعهم على الخلافة والحكم كمن يستعذب الدماء ويتلذذ بالتقتيل والتفطيع . ولم يغفل الكاتب أن يجعل وصف كل ما كتب وصور نزاعاً دينياً أساسه الخلاف الديني أو الرابطة الروحية وبذلك فقد جعل كل جندي يخوض هذه الفتن من رجال الله . وأخرج كاتب فرنسي آخر في سنة ١٩٣٩ قصة أخرى جعل عنوانها « ملك الصحراء » ومع ان موضوع هذه القصة النزاع بين دولتين أوربيتين على ثروة البلاد العربية والسيادة على هذه البلاد فإن الكاتب لم يعدم الكلام على العقيدة الاسلامية في الحرب فجعل الدين وحده هو الدافع للعرب على الثورة على الفرنسيين في سورية وعلى الانكاز في فلسطين .

هذا الفهم لمعنى الجهاد في الاسلام عند كثير من كتاب الغربيين يجعل للحروب بين المسلمين وغير المسلمين معنى لا يختلف عن معنى الحروب الصليبية المعروفة في التاريخ . وقد أريد بهذا الفهم أن يكون مصدر دعاية تغذي الرأي الغربي العام بكل ما ينفر من المسلمين ويدعو إلى معاداتهم والريبة فيهم . وربما كان هذا الانطباع عن الاخلاق الاسلامية وأحوال المسلمين من أهم الأسباب التي عملت على الاستهانة بالاخلاق الشرقية وعدم الاطمئنان إلى الشرقيين ، لولا أن احوال الاجتماعية لم تعد كما كانت عليه في القرون الماضية ، إذ اتصل الشرق بالغرب وخبر الغربيون المسلمين عن كتب ولم تعد كتابات القساوسة والمبشرين ومؤلفي الروايات والافاصيص المصدر الوحيد الذي يأخذ منه العالم الغربي

رأيه في الاسلام والمسلمين . وانقلبت الحالة بكثير من المؤلفين والكتاب
فصاروا دعاية للاسلام بعد ان كان من قبلهم دعاية عليه .

ومن هذا الباب عدلت نظرية الجهاد في مفهوم العالم المسيحي وصار
للحرية والتحرر أثر في كل حرب أو ثورة قامت بين المسلمين وغير المسلمين
في التاريخ الحديث .

ونحن إذا أخذنا المفهوم الأول لركن الجهاد في الاسلام وجدنا أن
هذه العقيدة تستند إلى نص القرآن ومنه تأخذ أهميتها الدينية . وإن
من سور القرآن ما موضوعه الجهاد والحروب والغنائم ومعاملة الأسرى
والمعاهدات وما يؤلف قانون الحرب عند المسلمين . وفي مقدمة هذه
السور سورة التوبة وسورة الانفال . إذ كان لابد للاسلام من تنظيم
قواعد الحرب بازاء ما نظم من قواعد السلم .

ولقد كثر الجدل في القول أن المسلمين إنما كانوا يتخذون الحرب
وسيلة لنشر الاسلام أو أنهم إنما كانوا في هذا بمثابة المدافعين . الواقع ان
المسلمين ما كانوا يشيرون الحرب على غير المسلمين بدافع الفتح والغزو
والاستيلاء محضاً . والتاريخ يبين لنا ان العرب لم تكن لهم مطامع تجارية
أو استعمارية فيمن حولهم من غير المسلمين . فلما جاؤا بالاسلام كان من
قواعده الأساسية الدعوة اليه بين جميع الناس . ولم تكن هذه الدعوة إلا لجمال
الناس على الانتظام في نظام روحي اجتماعي فيه تسوية بين طبقات الناس
وتنظيم لأحوالهم الروحية والمادية وربط هذا النظام بالايان بالله واليوم الآخر .
ولما كان العالم اذ ذاك يخوض في عمية من الجهل والفتنة وتحكم السادة

والاغنياء فقد لزم ان يحمل الناس على قبول هذا الدين بالحسنى فان أبوا فالمهادنة وإلا فبالسيف . فكان الاسلام في هذا كالقانون الذي يسنه المجتمع نفسه ليتخذ منه آلة قاهرة على اتباع ما هو حق وخير مادام المجتمع المخاطب بهذا القانون لا يفهم ما هو صالح مما هو فاسد . والانسان مطبوع على التسبب من كل قيد يسلبه الارادة المطلقة وان كانت هذه الارادة توجهه الى الشر والهلاك . ومتى قبل الناس الاسلام كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم لا تفريق بين حاكم ومحكوم ولا بين عربي وعجمي . وكان للناس جميعاً حرية الاختيار في الكسب والعمل وكان لهم ملء الحرية في القلب والاجتماع . والواقع يدل على صدق هذه النظرة في مفهوم الجهاد في الاسلام فقد ارتاحت جميع الامم التي اعتنقت الاسلام الى الاسلام وأخذت لغته وتقاليده أهله وتعصبت للدين اكثر مما تعصب العرب له ، وادركوا من محاسنه ومزاياه ما لم يعمل به العرب انفسهم وهم الذين بدؤوا العالم بنشر الاسلام .

فركن الجهاد على هذا انما هو حياط وسياج للدعوة الى الاسلام . والدعوة الى الاسلام إنما كانت دعوة عامة الى الاصلاح في مجتمع تأصلت فيه عوامل الفساد ولم ينفع في حمله على الاصلاح غير القوة في كثير من الاحوال . والمسلمون حينما كانوا يقاتلون في سبيل الدين انما كانوا يجاهدون استجابة لفرض مقدس كالصيام والصلاة ولم يلقوا السلاح في هذا السبيل حتى اطمأنوا الى انتشار الدين وتيقنوا من استقوائه واستقراره في ربوع الأرض التي نشروا فيها ألوية الاسلام . ولقد خلط الكتاب

الغربيون بين مفهوم الجهاد في أصل الاسلام وبين مفهومه في حوادث
 التاريخ فهو على رأيهم هذا صدى لحوادث اجتماعية وسياسية تتقلب بتقلت
 الاشخاص وتتغير بتغير الحوادث. وما علموا أن الجيوش التي تجمع في اول
 الاسلام لمواكبة الدعوة وحمايتها ليست الجيوش التي تجمع بالقوة
 والdraهم أيام الدول الاسلامية المتأخرة. ووصف الجهاد يختص بتلك ولكنه
 ضعيف العلاقة بهذه. ذلك أن غرض الجيشين مختلف : الأول صادر من
 العقيدة والايان وأداء الواجب والثاني تحقيق لأطماع الرجال الذين
 ينشدون السيادة والسلطان. هذا حتى ولو كان الوصف الديني شعاراً
 لسكلا الجيشين. وفرق بين دعوة الى الجهاد استغلالاً للعاطفة الدينية
 واستثارة للهمم الزاكدة في سبيل تحقيق غرض ذاتي ودعوة الى الجهاد
 تلبية لنص القرآن وفراغاً من الواجب. فلقد كان المسلم يموت في ساحة
 الوغى طلباً للشهادة واستقبالاً للنعيم المقيم وهو مطمئن الى هذه النهاية
 يتعجلها بالموت أكثر مما يتعجل اللذة الطيبة بالحياة. وكثير من الحوادث
 التاريخية في الجهاد ترىنا هذه الحقيقة على وجه رائع لا مثيل له في تاريخ
 الأمم. وربما رأيت المؤمن المجاهد يعاني سكرة الموت باسمًا تردد بين شقيقه
 كلمة الشهادة فيغبطه على هذه الميته من لم يميت وتحمله شهادة صاحبه على
 تعجل الشهادة وذلك هو سبيل الحكمة المعروفة : (أطلب الموت توهب
 لك الحياة). أما هذه الجيوش التي تجمع بالدينار والدرهم وتثار بالدعوة
 الى الجهاد فانما هي جيوش تحارب للدنيا لا للدين وتنشد من الجندي سبباً
 للحياة لا للموت ، فالحياة عندها غريزة باقية ليس وراءها لها مطمح ولا

خلود . واذ كانت الشهادة شعار المجاهد المؤمن فأن حب الحياة شعار
المقاتل المضطر والمأجور .

وليس يمتنع مع هذا ان تجد الغايتين مجتمعتين في غرض الجهاد . فقد
صح في بعض الحوادث التاريخية المتأخرة أن اتفقت العقيدة مع طلب
الحكم والسلطان وذلك في الحوادث التي وجد المسلمون انفسهم فيها تجاه
عدو غاز من غير المسلمين غرضه غزو الاسلام أو هدم كيانه المسلمين
لا غزو الدولة وقهر السلطان وحسب . وهذا واضح في الحروب التي أثارها
العالم المسيحي على المسلمين من أجل الاستيلاء على الأراضي المقدسة في
فلسطين والتي اتسعت وراء هذه الغاية الى الاطماع الاستعمارية
الخالصة فأحس المسلمون من ورائها خطراً يعم جميع ديار الاسلام فهبوا
للدفاع عن هذه الديار وهم في هذا مندفعون بعقيدة الجهاد الخالصة التي
لم تسكد تشوبها الغايات الذاتية وحب السلطان . كما نجد هذا واضحاً أيضاً
في الحروب التي أثارتها بعض الدول الأوروبية على الدولة العثمانية مندفعة
بمظاهر دينية تعضدها مطامع ذاتية هي إزالة سلطان العثمانيين من أوروبا
والاستيلاء على المواقع الحربية المنيعه التي تقع بين القارتين . والواقع أن
أكثر هذه الحروب التي كانت تثيرها بعض الدول الطامعة في العثمانيين والتي
كان وقودها الطوائف غير المسلمة من رعايا دولة بني عثمان إنما كانت
حروباً تغلب فيها صفة الجهاد على صفة الغزو والاستيلاء . ومن مظاهر
العقيدة في هذه الحروب ان المسلمين كانوا يندفعون وراء العثمانيين اندفاعاً
تلقائياً مع ضعف سلطان الدولة وقصره عن تناول المتخلفين عن الجهاد .

ومن مظاهرها أيضاً ان كثيراً من المسلمين الذين لم يكونوا تحت ظل الدولة
 العثمانية كانوا يشايعون هذه الدولة باهوائهم وأموالهم حتي ولو كانوا
 تابعين للدولة التي تحارب العثمانيين . والحوادث تروى ان المسلمين كانوا
 يمتنعون من الالتحاق بالجيش التي تقاتل العثمانيين وإن هم اضطروا على
 ذلك فانهم لم يكونوا يوجهون السلاح في وجوه المسلمين . ولقد جمعت
 الخلافة الهندية أموالاً طائلة لمعونة الدولة العثمانية في حروبها مع الحلفاء في
 الحرب العالمية الأولى فغلبت بذلك العلاقة الدينية على علاقة الحكم
 والسلطان . ومن أقرب هذه الامثلة اليها في التاريخ استسلام كثير من
 الهنود المسلمين التابعين للجيش البريطاني للشوار العراقيين إبان الثورة
 العراقية أو امتناعهم عن اطلاق الرصاص على الشوار . من هذا نرى ان
 عقيدة الجهاد في الاسلام ما تزال حية في المسلمين وانها كانت تجد لها
 متنفساً ومتسعاً كلما حدثت حادثة مهمة تهدد كيان الاسلام والمسلمين .
 ومن هذه الناحية وحدها تصدق النظرية القائلة ان المسلمين تغلب عليهم
 الصفة الدينية كلما قامت حرب بين المسلمين وغير المسلمين . اما فيما وراء ذلك
 فان الحروب التي قامت بين المسلمين وغير المسلمين فانما هي حروب عادية
 كالتي تقع بين دولة واخرى من غير المسلمين . وان هذه الحقيقة كانت
 غامضة عند الكتاب الذين تعرضوا لتاريخ الشرق والمسلمين . ذلك لأن
 هؤلاء الكتاب انما كانوا صدى للرأي الغربي الذي يرى في الاسلام ضدّاً
 للمسيحية وعقبة تحول دون غزو الشرق والاستعمار . وما كانت العقلية
 الواقعية ولا البحث المجرد شيئاً معروفاً في القرون الوسطى وانما كانت

سلطان العاطفة الدينية المتعصبة هو الغالب على آراء الكتاب والمؤرخين ورجال السلطان . وقد ظل الناس في الغرب يسيئون فهم الاسلام وعقائد المسلمين الى عواقب الحرب العالمية الأولى حين أمكنت الاحوال العالمية من الدراسة المباشرة والبحث المجرد وتولى تصوير هذه الحقائق كتاب من غير رجال الدين أو المتأثرين بدعايات رجال الدين . فلما عرضت هذه البحوث والدراسات على العالم الغربي وثق بها ونفذ ما كان يأخذه من الفروض والتصويرات التي كانت تستمد مادتها من الجهل والاهام . وصار الاسلام اليوم معروفاً كما يجب ان يعرف بل وكما يجب ان يعرف . ولن يبعد أن نرى الاسلام محبوباً مرغوباً فيه في جميع اوربا نفسها وأن ينتشر الاسلام ويسود في الغرب وتتحقق النبوة التي ظهرت على لسان غوته الشاعر الالماني المعروف .

١ ومن هذا يتبين أيضاً سخف القول بان للجهاد مفهوماً بين الحروب التي نارت بين المسلمين انفسهم ، كالذي وقع بين القبائل والعائلات نزاعاً على الخلافة والامارة والسلطان . ان شأن المسلمين في هذا شأن دنيوي ولا أثر فيه للدين . وانما الامر على الضد من هذا لأن الاسلام يأمر المسلمين ان يتآخوا ويتحابوا . ونصوص القرآن والسنة في هذا متوافرة متظاهرة . فهو على هذا يمنعهم من التنازع والتناحر . ولا يكون شيء من مفهوم الجهاد الا في حرب يثيرها المسلمون دفعاً عن حياض الدين وكيان الاسلام . والراجح أن الكتاب الذين غلب عليهم هذا الوهم أخذوا بحوادث افريقية الغربية والفتن التي نارت فيها بين المسلمين لاختلافهم في

المواطن والاجناس وكثرة الطامعين في الامارة والملك وضياع الوحدة في القيادة بضياع الخلافة في الاندلس . على أن هذا أيضاً لا يقوم للعامل عذراً أن يتخذ منه هذه الفكرة الخاطئة . والكتاب الفرنسيون مولعون بالضرب على هذا النمط من التفكير وهم في هذا ينتمون على خوف عظيم من الاسلام الذي يعمر قلوب المسلمين الذين ابتلوا بحكم فرنسا واستعمارها البغيض . إن هؤلاء الكتاب انما يحاربون الاسلام في كل مظهر من مظاهر قواهم بالدعاية والكذب والتضليل ، وبالقوة وبالتشريع وبالتعليم . وهم يتعمدون هذا ويفعلونه علماً منهم بان العرب الذين في قبضتهم لن يلبثوا لهم ولن ينجح حكمهم فيهم مادامت اللغة العربية والاسلام قائمين في بلاد العرب .

هذا وعقيدة الجهاد في الاسلام تختلف عن بقية أركان الاسلام في أمر دقيق ، ذلك ان المسلم قد يهمل الصيام والصلاة ويغفل الحج والزكاة فتضعف فيه الدواعي الى العمل بأحد هذه الاركان ، وقد تصل به الحال الى اهماله بتاتا . والسبب في هذا ان العمل بالدين في هذه الاركان قائم بين المسلم وربه وليس من سلطان يقوم عليه في اداء هذه العبادات غير ضميره وإيمانه . أما ركن الجهاد فانما هو قائم بين المسلم ودينه ووطنه وماله وولده فاذا ما استثيرت همته وأوقظت عقيدته ثار لها نائر يصل بين قلبه وعقيدته وكان من حب الوطن والعرض والمال سلك دقيق حساس هو بمثابة السلك المعدني يصل بين المولد والمستقبل فيثور الايمان حرارة أو ضياءً أو قوة جارفة . واذا كان المسلم قد لا يجد من حرارة الايمان ما يدفعه الى الصوم والصلاة والحج والزكاة فتموت فيه قوة الحماسة

لهذه الاركاز بالاهمال فان الجهاد قوة كامنة تشتتيرها الدوافع وتوقظها
الحوادث ولا يغيرها أو ينقص منها الزمن والاهمال . والمسلمون مازالوا
في جهاد منذ فرض الجهاد في الاسلام الى هذه الساعة .

ولم تكن الدوافع التي حدثت بأولئك الباحثين في شؤون الاسلام
أن يسيئوا فهم قواعده واصوله بخافية حتى على الذين لم يدرسوا شيئاً
كثيراً من بحوث المستشرقين وآراء الكتاب الغربيين ومؤرخيهم . وان
اولئك الكتاب والباحثين قد أساءوا إلى أنفسهم وبحوثهم بأكثر مما
أرادوا أن يسيئوا إلى تاريخ المسلمين ودين المسلمين . ذلك لأن الناس
في هذا الشرق ما عرفوا أن دينهم يعتدى عليه وتاريخهم تتلاعب به
الاهواء حتى احترسوا كل الاحتراس وشكوا في كل ما يكتب الغربيون
في دين الاسلام وتاريخ الاسلام ، وارتابوا حتى في دراسة أبناء المسلمين
أنفسهم في معاهد الغرب وجامعاته ، يشعر بهذا الانعكاس أو رد الفعل كل
متعلم وكل أُمِّي من المسلمين ، من هنا نلمس نفور عامة المسلمين من
المدارس المدنية الحديثة وريبتهم من كل مسلم حديث يدرس تاريخ العرب
والاسلام . وما احرى الناس أن يعذروا في نفورهم ذلك وريبتهم هذا إذا
هم سمعوا مثلاً أو قرأوا أن مؤرخاً فرنجياً يصف محمداً (ص) بالمصروع
أو الممتوه أو الشبق أو المحتال أو الكذاب يقول من عنده شيئاً ويزعم
أنه يوحى اليه من عند الله ، وإذا هم عرفوا أن مثل هذه الآراء والكتب
هي مصادر كثير من الذين يدرسون تاريخ الاسلام والعرب في مدارس
الدولة .

فالمستشرقون والسكرتار من الغربيين حين يفهمون الجهاد في الاسلام
حرب عقائد ومذاهب يتأثرون بفهمهم أن الاسلام دين رجل يصطالح عليه
ما يصطالح على الرجل من عواطف وأطباع وعلم وجهل وخير وشر .

على أننا إذ نذكر هذا الجانب من الغلط في فهم الاسلام علينا أن نذكر
باعتجاب ذلك الجانب الآخر الذي فهم هذا الدين فهماً صحيحاً وسلك في
تاريخه ونقده مسلكاً نزيهاً غاية الدرس العلمي والبحث عن الحقيقة .

ذلك ما يفهم الناس من غير المسلمين من معنى الجهاد في الاسلام فما هو
الجهاد في حقيقة الاسلام ؟ .

إذا أردنا أن نفهم الجهاد على حقيقته في شريعة المسلمين فعلينا أن
نرجع الى القرآن نفسه هـذا المصدر الديني التشريعي الذي لا يختلف
اثنان في صحة الأخذ منه والاعتماد عليه .

والقرآن يقص علينا في هذا الشأن أن المسلمين لم يكونوا مأمورين
بالقتال قبل أن يهاجروا من مكة الى المدينة . والحكمة في هذا ظاهرة ،
فان الاسلام كان في بدايته والمسلمون قلة لم يكونوا يستطيعون مقاومة
ولا دفاعاً بالرغم من أن حاجتهم هناك الى القتال والدفاع كانت شديدة
جداً ، فقد كانت قريش تشتط على الرسول وتزداد في الغلظة عليه بقدر
ما كان يزداد نشاطاً في دعوته وصبراً على أذى قومه ، وكان أتباعه على
قلمتهم وضعف الكثيرين منهم يلقون من ايذاء أهل مكة لهم أنواع العذاب
والاضطهاد ولم يرد في التاريخ أن الرسول وأصحابه بدأوا خصومهم في
مكة بأذى ولا ردوا اعتداء بمثله ولا رفعوا في وجوه الخصوم السلاح
على أنهم لو فعلوا لما لميوا ولما كان دفاعهم مبرراً مشروعاً ، ولكنهم كانوا

يفضلون التخفي والهجرة حتى يكثر العدد ويتقوى الدين ... وفي هذا قوله تعالى « قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين » ... ولقد كان للمسلمين في القرآن خير العوض عن القتال ورد العدوان بالعدوان فلقد كان ينزل على الرسول فيقرأ عليهم فتكون عليهم قراءته أشد من وقع السلاح ولقد كانوا يجتمعون عليه ليفتنوه ويردوه عن دينه فيقرأ عليهم الآيات من القرآن فتصبو اليه قلوبهم وتميل الى دعوته أفئدتهم من صدق ما يجدون من لهجته وحماسة دعوته وجديد معانيه وبلاغة منطقه ولقد كان أحدهم يخر ساجداً إذ يسمع اتفاقاً آية من القرآن يتلوها مسلم بحرارة وإيمان .

نعم أعان القرآن المبكي المسلمين طيلة مقامهم بمكة وعاضهم عن القتال بالسيف والدفاع عن النفس بالسلاح بالحرب الادبية التي ترد الخصم بالحجة وتقاومه بالبيان فسفه عليهم أوثانهم وأصنامهم وعاب تقاليدهم وعاداتهم وركن الى الانتصاف للحق من الباطل ، ومن القوى للضعيف ومن السيد للعبد ومن الرجل للمرأة ومن السفاهة للحلم ومن الفوضى للنظام ولذلك جاءت الآيات المبكية قاسية اللهجة فخمة الاسلوب ، تهدد وتنذر وتوعدهم وتخوف وقصيرة العبارة مسجوعة الآي حتى لا كأنها تقاتل وتناضل في ساحة الوغى وميدان القتال .

هكذا كان حال المسلمين أثناء ما كانوا مستضعفين في مكة يتخطفهم الناس من حولهم حتى إذ أووا الى المدينة وصاروا كثيراً بعد قلة وقوة بعد ضعف أمروهم بأن يقابلوا العداوة بمثلها وأن يصدوا أعداءهم بقوة

السلاح ، فقال تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ... » وقال « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » وقال تعالى « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » وبذلك تم فرض الجهاد على المسلمين وحضوا على القتال دفاعاً أحياناً وهجوماً أخرى وما دخل الحول الثاني على هجرة الرسول وأصحابه حتى وقعت بين المسلمين وأهل مكة وقعة بدر الكبرى وفيها انتصر المسلمون فكانت أحسن فاتحة لهم شجعتهم على القتال وقوت فيهم العزيمة وثبتت في قلوبهم الإيمان .

وكان القتال قبل فتح مكة قاصراً على ما بين المسلمين وأهل مكة حتى إذا ساد الاسلام جزيرة العرب وقضى على أكبر خصومه من قريش وأحلافهم أمر المسلمون أن يقاتلوا من يقاتلهم من غير المسلمين عامة وفي ذلك قوله تعالى « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » وقوله في سورة الأنفال « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ... » وقوله في سورة التوبة « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

وكذلك اشتبك المسلمون بأعدائهم بالقتال دفاعاً عن أنفسهم في أول الأمر أو حماية لدعوة الاسلام ومبادئ الدين حتى إذا كلفوا بتعميم الرسالة ونصح البشر كافة وأخذ الناس أجمعين بهداية واحدة عرضوا

الاسلام على من جاورهم من الأمم بلسان الوعظ والسلم . ولم يجدوا بعد ذلك بداً من الاصطدام بهم بالقوة والسلاح ...

وقد اتسعت بالمسلمين بعد ذلك الفتوح وتعددت بهم ميادين القتال فتطور مفهوم الحرب عندهم من حرب ضيقة بين المدينة والمدينة أو القبيلة والقبيلة الى حرب بين أمة وأمة ودولة ودولة ، فكان للحرب عندهم نظام وكان لهم قوانين وآداب وكان مرجع المسلمين في كل هذا ما يجدون في القرآن من نصوص صريحة في طرق التعبئة وحشد الجيوش والزحف وكيف ينفرون وكيف يصلّون في الحرب وكيف يوفون بالمواثيق مع العدو . ويبيّن أحوال الحرب في الهدنة والأسر والغنائم وفصل في أحوال المسلمين عند قيام الحرب من مقاتلين وقاعدين و معفيين من الحرب ومن مخلصين ومنافقين ... وإلى جانب ما يجدون في القرآن كان لهم في حروبهم مع رسول الله وغزواته مصدر آخر في نظام القتال وقانون الحرب .

من هذا الذي قدمنا تعرف أن الجهاد في الاسلام ما كان اعتداء ولا (اعلان حرب) على من لم يعلن الحرب على المسلمين بل إنما كان جهاداً أدبياً يقرع الحجّة بالحجة ويجادل بالمنطق والتي هي أحسن وذلك حينما كان الاسلام ضعيفاً والمسلمون ضعفاء ثم تطور الى مقابلة الاعتداء بالاعتداء والاخراج من الديار بالاخراج منها ثم ارتفع الى غرض انساني عام ، الى دعوة الى الاصلاح الاجتماعي السياسي الديني الذي كانت الاجتماعية البشرية بحاجة ماسة اليه ، بوسائل السلم إن أمكن وإلا فبالقتال ، هذا الى أغراض دولية اقتضتها مجاورة الممالك الاسلامي للأمم تختلف عنه في

العقيدة ونظام المجتمع وأهداف الحياة والمعاش مما لا يحتمل أن يبقى معه
 المسلمون ومجاوروهم على سلام ووئام ، فكان على العرب أن لا يقفوا في
 نشاطهم في الدعوة وحماسهم في القتال ، وتحتّم عليهم أن يعجلوا بذلك
 الاصطدام المنتظر بينهم وبين مجاوريهم من الأمم قبل أن تخذلهم روح
 الحرب أو تفتر في قلوبهم حرارة الإيمان .

(١) الجهاد في الشريعة

يعرف فقهاء المسلمين الجهاد في اصطلاحهم بأنه بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك . وهم يعتقدون لهذا البحث كتاباً مستقلاً بين سائر الكتب التي تتألف منها كتب الفقه .

والجهاد في الفرضية نوعان : فرض كفاية ، وفرض عين . فهو فرض كفاية لقوله تعالى « وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ... » وقوله « وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجةً وكلاً وعد الله الحسنى » ومعنى كونه فرض كفاية أن تتعلق فرضيته بكل مسلم قادر على القتال حتى إذا قام به بعض المسلمين سدوا مسد الآخرين فسقط عن هؤلاء باداء أولئك . ولو كان فرض عين أبداً لما وعد الله القاعدين عن الجهاد بالحسنى لأن ما يقابل العينية يكون حراماً . وما فرض له الجهاد وهو الدعوة الى الاسلام ودفع العدو وقهره لا يتطلب تجنيد جميع المسلمين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث ببعض سرايا الى القتال ولا يكلف جميع المسلمين ولا يعنف المتخلفين . إلا أنه يتعين على امام المسلمين أن لا يدع ثغراً من ثغورهم بلا حامية ومقاتلين وأن يعزز كل ثغر يجد فيه ضعفاً بمن يسد هذا الضعف وأن يكون كل قطر كفيلاً بامداد ثغوره عند الحاجة

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على كتاب السير من بدائع الصنائع للسكاساني .

بالمقاتلة والسلاح والمؤونة وسائر ما يحتاجون اليه . هذا ، حتى إذا ما كان
 النفير عاماً ودام المسلمين خطر لا يسد في دفعه بعضهم دون بعض كان
 الجهاد فرض عين لا فرض كفاية ، وتعلقت فرضيته بكل قادر على القتال ،
 وذلك لقوله تعالى « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن
 يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » وقوله « اتقوا
 خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » ذلك لأن
 وجوب النفير على الكفاية ثابت وسقوطه عن بعض لغناء البعض الآخر .
 فإذا ما عم الخطر لم يتعين دفع الأذى إلا بجهاد الجميع ، فصار عند ذلك
 غرضاً عيناً مخاطباً به كل الآحاد ، كالصلاة والصيام ، ومن هذه الناحية
 من التعليل كان الجهاد ركناً في الاسلام . ولهذا يجب على العبد الخروج
 للقتال بغير اذن سيده والولد بغير اذن والده والمرأة بغير اذن زوجها ، كما
 في الصوم والصلاة لأن حق هؤلاء لا يظهر في فروض الاعيان . ولو كان
 فرض كفاية في هذه الحالة لما صح للعبد ولا للولد ولا للمرأة أن يخرجوا
 بغير اذن السيد والوالد والزوج .

من يجب عليه الجهاد : ولا يكون الجهاد فرضاً كفاية أو عيناً إلا في
 حق القادر عليه . وتعين القدرة على الجهاد بالصحة الممكنة من الصبر على
 المراقبة والعفر والقتال وما لا يمنع من إظهار البأس . ولذلك لا يخاطب
 بالجهاد الأعمى والأعرج والأزمن والمقعّد والشيخ الهرم والمريض والضعيف
 ومن لا يجد ما ينفق لقوله تعالى « ليس على الأعمى حرج ولا على
 الأعرج حرج ولا على المريض حرج ... » وقوله « ليس على الضعفاء
 ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم الله

ورسوله « فقد عذر الله هؤلاء على التخلف عن الجهاد لتخلف الصفة التي
يجب معها على المسلم الجهاد . والصبي والمرأة مثل هؤلاء في سقوط هذا
الفرغ عنهم .

ويتعين على ولي أمر المسلمين أن يعي الجيوش ويمهد أمرها قبل
الخروج الى القتال وأن يختار رؤساء الجيش ولا يدع جيشاً بلا أمير ،
وأن يكون هذا الأمير عالماً غير جاهل ولا يجب في هذا أن يكون أعلم
من في جيشه لجواز أن يكون عالم الجيش لا يجمع صفات الشجاعة والدربة
على القتال . إلا أن أمير الجيش يجب أن يكون عالماً بما هو حلال وما
هو حرام خبيراً بنفسية الجندي قادراً على تصريف جيشه مع ما يحتمل
وقوعه في حالات الحرب والسلم غير معروف بخطل الرأي وسوء التدبير .
وهذا مستفاد من صفات الامراء الذين كانوا يؤلون الجيوش في جميع
عهود الاسلام . ويجب أن تكون لأمر كل جيش وصية ؛ يوصيه الامام
بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المؤمنين لأن الامارة أمانة
عظيمة لا يقوم بها إلا المتقون . وقد ثبت أن الأئمة والخلفاء لم يكونوا
يوجهون أميراً في جيش حتى يوصوه وصايا معروفة تدور حول تقوى الله
في الجيش نفسه وتتضمن كيفية معاملة العدو والصمود له وسيرة الجيش
في بلاد العدو وساحات القتال ، فاذا ما كانت هذه صفات الامير وجب
على جنده طاعته لأن طاعته مستمدة من طاعة الله ورسوله . قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »
وقال صلى الله عليه وسلم « اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي
أجدع ما حكم فيكم بكتاب الله تعالى » أي بشرط أن يحكم فيكم بكتاب الله

تعالى . ولأن الأمير نائب الامام وطاعة الامام لازمة فكذا طاعة أميره .
أما إذا كان الامير فاسقاً يأمر الناس بالمعاصي فلا تجب طاعته بل تجب
مخالفته لقوله صلى الله عليه وسلم « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ،
وإذا كان ما يأمرهم موضع اجتهاد وخلاف لم تجز مخالفته وكان اجتهاد
الامير مثل اجتهاد الحاكم في القضاء .

عروضه الجهاد

أول عروض المسلمين لمن يقاتلونهم الاسلام فان لم يسلموا خيرهم
بين اثنتين القتال أو الهدنة والسلام . فأما القتال فلا يقدم عليه
المسلمون غفلة وخداعاً . وما روى تاريخ المسلمين أنهم أقدموا على
قتال أعدائهم قبل أن يعرضوا عليهم الاسلام وشروط السلام ، حتى أهل
الردة فان خالداً وأصحابه أمروا أن يبيتوهم ليلاً فان سمعوا فيهم أذان
الصلاة لم يحاربوهم ، وإن لم يسمعه كان ذلك دليلاً على كفرهم ورجوعهم
عن الاسلام ، وساغ لهم أن يقاتلوهم .

وآيات القرآن تجلو لنا أن أول أغراض القتال حماية الدعوة ورد
الاعتداء . قال تعالى « اتقوا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
في سبيل الله ... » وقال « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا
الكتاب » وقال تعالى « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم »
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا
لا إله إلا الله ، فان قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .

فاذا ما رد المقاتلون على المسلمين بالقتال فأبوا الاسلام والهدنة
 والسلام أو بدأوا المسلمين بالقتال قبل أن يقاتلوه كان على المسلمين أن
 يردوا عليهم بالمثل ، قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
 ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » أي لا تبدؤوهم بالقتال قبل أن
 يعتدوا عليكم بالامتناع من الاسلام أو إياه الهدنة والسلام . « وقاتلوه
 حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل
 ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوه
 كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوه حتى لا
 تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين .
 الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
 عليه مثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » . وفي
 هذه الحالة يكون قتال المسلمين دفاعاً عن النفس والمال والديار ، قال تعالى
 « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
 الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك
 ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً » وقال في مكان آخر « أذن للذين
 يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم
 بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
 لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً
 ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » وقال ايضاً « وإن جنحوا
 للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن
 يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين

قلوبهم ... » . « وأن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون . ألا تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم قد بدأ وكم أول مرة اتخسؤنهم ؟ قاله الحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » وهذا الحكم ينطبق على يهود المدينة الذين كانوا يتذبذبون بين اهل مكة والمسلمين فقد كانوا يماثلون الكفار على المسلمين سرّاً وجهرّاً حتى إذا ما غلب هؤلاء رجعوا الى المسلمين يظهرهم المودة والمحافظة على الميثاق وهم المعنيون بقوله تعالى « ألا تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم وهموا بإخراج الرسول » وبقوله تعالى « وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم » .

الدعوة قبل القتال

هذا ويجب على أمير الجيش إذا لقي العدو أن يخطو الخطوات التالية قبل الشروع في القتال :

وذلك أن العدو إما أن يكون قد بلغته الدعوة الى الاسلام أو لم تبلغه . فإن لم تكن قد بلغتهم الدعوة فعلى المسلمين أن يبدؤهم بها قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) . وتتحقق الدعوة بمخاطبة أمراء العدو ومفاوضتهم بالمشافهة وتبيان أحكام الاسلام ومزاياه وما للمسلم من الحقوق وما عليه من الواجبات . ويجب أن يكون لسان الدعوة لسان الحكمة والمودة ونقي العظم والعدوان لأن غرض الاسلام أن يعم وينتشر وتشمل جميع الناس دعوته وأحكامه وليس القتال إلا وسيلة ثانوية لا يركن اليها إلا عند تعذر الاستجابة الى الدعوة

اليه بالعدل والاحسان . ولأن الدعوة بالبيان اسلم وافيد منها بالقتال، ففي القتال ذهاب الانفس وتخريب الديار وفك نظام المجتمع فيجب الاستغناء عن هذه المضار ما امكن الالتجاء الى وسائل المحبة والسلام . اما إذا لم تكن الدعوة قد بلغت العدو فقد جاز للمسلمين مبادأتهم بالقتال بلا دعوة جديدة ولا إنذار ولكن الأفضل من هذا أن تجدد الدعوة وينذر العدو دفعاً للعذر واطمئناناً للنفس . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقاتل الكفرة حتى يدعوهم الى الاسلام . هذا ولما كان المقصود من القتال الدعوة الى الاسلام فقد وجب على المسلمين أن يقبلوا منهم الاسلام إذا ما اعلنوه ولو بعد بدء القتال . لأن الاسلام يعصم دم المسلم فيكون قتال المحارب حراماً بعد اعلان الاسلام قال صلى الله عليه وسلم (امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) وقال (من قال لا إله إلا الله فقد عصم مني دمه وماله) .

وإذا ما ابى العدو الدعوة الى الاسلام عرضت عليه شروط الذمة وذلك ان يتركوا في ديارهم لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فان قبلوها فذاك وإلا استعان المسلمون عليهم بالقتال . وإذا كان العدو من مشركي العرب سقط هذا العرض في حقهم وتحم عليهم الاسلام او القتال .

اما العرض الآخر وهو الهدنة والسلام فقد كان الوسيلة التي تمكن غير المسلمين من تجنب الاثنتين : الاسلام والقتال . وكثيراً ما كانوا يلجأون اليه . فإذا ما قبلوه كانوا في ذمة المسلمين وحمام ، عليهم الدفاع عن انفسهم

وأموالهم وديارهم لا يكلفهم المسلمون حمل السلاح ولا يسألون عن حماية الطرق والتجارة وتوطيد الأمن داخل البلاد . وبمقابل هذه الحماية لا يسألهم المسلمون غير الجزية التي لا تفرض إلا على القادرين على العمل من الرجال ، فلا تفرض على النساء والصبيان والشيوخ ومقدارها شيء ضئيل جداً لا يكاد يكلف أضعف القادرين على العمل .

ولقائل أن يقول : وكيف يترك المسلمون الناس على أديانهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ؟ أليس ذلك تنازلاً من المسلمين عن الدعوة إلى الإسلام وتشجيعاً لغير المسلمين أن يبقوا على غير الإسلام ؟ وفي الجواب على هذا دليل آخر على أن الإسلام لم يضع القتال غرضه الأول في نشر الدين والدعوة إليه . ولرب معاشر ومعاملة بالدين والحسنى هدت إلى خير مما تهدي إليه القوة والعنف . والمسلمون كانوا يعلمون أن في الإسلام من الخير ولصالح ما يدعو إلى اعتناقه والركون إليه كالنور يهدي إليه الساري فيرى فيه سبيل السلام . وما ركن الكافرون إلى شرط الهدنة ودفع الجزية حتى اطمأنوا إلى الدين الجديد فأخذوا به بلا قتال ولا جدال . شأن الإسلام في هذا شأن كل جديد صالح وقديم فاسد .

وقد عمل المسلمون بهذا الشرط مع جميع الناس وجميع الأديان ؛ مع أهل اليمن وأهل العراق والشام وأفريقية ومع اليهود والنصارى والمجوس فقد أخذ معاذ بن جبل رضي الله عنه من كل عالم من أهل اليمن ديناراً أو ما يعادله من الثياب . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ الجزية

عن أهل العراق أعياناً من القوت ويأمر بحملها إلى المدينة تفضيلاً منه
للقوت على النقود .

ومن الثابت أن جميع الديار التي كانت تدفع الجزية للمسلمين وتمتع
بالأمن والسلام قد دخلت في دين المسلمين بعد أن كانت تحت حمايتهم .



آداب الحرب في الإسلام

والمسلمون غير مقيدون في قتال عدوهم بصورة دون أخرى من صور القتال ، والأمير في هذا حر له اجتهاده ومشورة أصحابه . ولم يمنع المسلمون من استعمال أية وسيلة في مقابلة العدو ، فهم حيناً يبيتونهم وحيناً يصابرونهم ولا يكفون عنهم وربما أغرقوا طرقهم بالماء وأحرقوا حصونهم بالنار وسدوا عليهم السبل من كل جانب ومنعوا عنهم وسائل العيش فقطعوا الأشجار المثمرة منها وغير المثمرة مقابلة بالمثل لأن كل هذه الاعمال شائعة عند من يقاتل المسلمين ولا يتحرج جيش من الاستعانة بها في التغلب على عدوه .

ولكل زمان قانون في السلم والحرب . وقد وجدنا أن الحرب تهذبت وتطورت باطراد اتفاق المتحاربين على أن يفعلوا شيئاً ويدعوا آخر .

وليس يحل للمسلمين قتل كل أحد في جانب العدو ما لم يكن من أهل القتال ، فلا يحل قتل امرأة ولا صبي ولا شيخ فاني ولا مقعد ولا مشلول أو مفلوج ولا أعمى ولا مقطوع اليد والرجل من خلاف ولا مقطوع اليد اليمنى ولا معتوه ولا راهب في صومعة ولا سائح في الجبال لا يخاطر الناس ولا جماعة تفرغوا للعبادة . ورأى صلى الله عليه وسلم امرأة مقتولة من العدو فقال « هاه ما أراها قاتلت فلم تقتل ؟ » .

وعصمة دماء هؤلاء مقيدة باجتناهم القتال حتى إذا ما ناصبوا المسلمين العداء أو شاركوا في القتال أو أعانوا عليه بالتحريض أو التجسس أو كان أحدهم ذا رأي في الحرب والقيادة فقد حل للمسلمين قتله ، لأن

هذه الاعمال تعتبر قتالاً أو ربما كانت أشد من القتال . وكان أحد المسلمين قد قتل يوم حنين دريد بن الصمة وكان شيخاً معمرأ ذا رأي وخبرة في القتال فلم ينكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد الفراغ من القتال فان كل من لا يحل قتله في حالة القتال لا يحل قتله في حالة الكف عن القتال أو المواجهة . وكل من يحل قتله في حالة القتال إذا قاتل حقيقة أو حكماً يباح قتله وأسرره . إلا الصبي والمعتوه الذي لا يعقل فانه يباح قتلها في حالة القتال إذا قاتلا حقيقة ولا يباح قتلها بعد الكف عن القتال إذا أسروا وإن كانا قد قتلا أناساً من المسلمين لأنهما ليسا من أهل العقوبة .

ويجوز للمسلمين بعد الفراغ من القتال أخذ كل قادر على القتال من العدو وحمله الى ديار الاسلام ، وكل من يقدر على ايداء المسلمين إذا ترك في دياره سواء كان قادراً على القتال حقيقة أو لم يكن منعاً للعدو من استئناف القتال على المسلمين .

موانع القتال

ويحرم على المسلمين القتال في حالات ثلاث : أولاها الايمان : فتي أقر المحارب بالشهادة بأن لا إله إلا الله وبأن محمداً رسول الله فقد حرم قتاله ودخل في حرز المسلمين كواحد منهم . ويظهر هذا الحكم حال الاقرار بالشهادة . ويحرم دم العدو أيضاً بالأمان سواء كان موقتاً أو مؤبداً . والمفروض أن عقد الأمان لا يصدر ايجابه من جانب المسلمين وهم قادرون على القتال لتنافي حكمه مع حكم القتال . فالأمان ترك القتال ، ولا يحل لمسلم ترك القتال . إلا أنه قد خفف على المسلمين أن يوادعوا عدوهم إذا رأوا فيه

قوة وكثرة عدد وغلب على ظنهم أنهم قد يغلّبون . فإذا ما وادعوه
أخذوا في الالهبة لاستئناف القتال وكان لهم أن ينقضوا عقد الامان متى
ما أرادوا . إلا أنه ينبغي انذار العدو بنقض عقد الامان قبل بدئه بالقتال
لئلا يكون ذلك غدرآ .

ويحرم دم العدو بدخوله الحرم الحرم سفك الدماء فيه هذا إذا دخله
لا جئآ . ولا يمتنع أن تكون هناك حالات أخرى يحرم فيها سفك دم العدو
كما إذا كان متلبساً بالعبادة أو كان امرأة مقاتلة ولكنها حبلى وما الى هذا .
من ذلك زى أن آداب الحرب عند المسلمين مستمدة من نص القرآن
وسنة رسول الله (ص) عند ما يكون مع الجيش وعند ما يوصي بعوث
القتال . وقد ثبت المسلمون على هذه الآداب من بعده ، ووصاياهم للبعوث
والسرايا مشهورة في كتب التاريخ . ومن هذه الآداب على عهد رسول
الله (ص) ، وهي الآداب التي اتبعها المسلمون في حروبهم من بعد وعلى
نهجها ساروا نجد أن المسلمين كانوا يتحاشون تهمة الخيانة والغدر . وقد
أمرهم أن لا يفاجئوا العدو حتى يتبينوا اسلامه من كفره بالاذان ، فإذا
ما سمعوه كفوا عن القتال وكان بينهم وبينه شأن غيره . ومثل هذا
يفعلون إذا ما تبينوا في البلد مسجداً أو سمعوا بوجوده فيه . ومنع
المسلمون من التحريق ، فقد روي أن رسول الله (ص) أمر بحرق رجلين
كانا شديدي العداوة على المسلمين ثم رجع فقال « كنت أمرتكم أن
تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فان وجدتموها
فاقتلوهما » . وقد بلغ من حرصهم على آدابهم أنهم أمروا باجتناّب الوجه
في القتال لما في ضرب الوجه من تشويه أجمل صورة في خلق الانسان .

وروى البخاري أن النبي (ص) نهى عن النهي والمثلة . وأخذ المسلمون أربعة من العلوج في إحدى حروبهم بقيادة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فأمرهم أن يقتلوهم صبراً بالنبال . وذلك أنهم قيدوا فأثوا عليهم ضرباً حتى ماتوا . فبلغ ذلك أبا أيوب الانصاري رضي الله عنه ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتل الصبر . فوالذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها . فلما بلغ قوله هذا عبدالرحمن بن خالد أعتق أربع رقاب كفارة عما فعل .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أراد المشركون أن يشتروا جسد رجل منهم فأبى رسول الله (ص) أن يبيعهم إياه . وفي هذا دلالة جميلة على احترام المسلمين للصفة الانسانية التي تأبى أن تخرج العدو ، لمجرد عداوته ومما اشتدت ، من حرمة الكرامة الانسانية حياً كان أم ميتاً . فتحریم التحريق والمثلة وضرب الوجه والمعاملة على جثة الميت تهدي المنكرين على الاسلام صفات التقدم والرفعة الى أن الاسلام سبق بهذه القواعد العصور البشرية الى هذا التاريخ . فلم يرو تاريخ الحروب الماضية ولم تنقل حوادث الحروب الحاضرة أن العدو يتجنب من عدوه الاعتبار الانسانية المجردة . وان في مشوهي الحروب العظمى في هذا العصر ما يدل دلالة واضحة على أن البشرية ما زالت بعيدة عن الوصول الى ما وصل اليه المسلمون في آداب الحروب . وان في استعمال الاسلحة الحديثة الفتاكة العادية منها وغير العادية وتنافس الامم على التسابق في ايجاد أفثك عدد القتال وأفظعها ما يدل كذلك على أن البشرية بعيدة كل البعد عن ادراك قيمة خلق الانسان كما يراها الاسلام ، هذا المخلوق المزود بالشرف والعقل والنفس والمواهب الروحية .

وهجوب الثبات في القتال

من المعروف أن المسلمين حينما خرجوا من الجزيرة كانوا قلة في العدد
 خلة في النظام نزرأ في العدة . ومع ذلك لم يحل هذا بينهم وبين التقدم في
 الارض ومقابلة أكثر الامم عدداً وأنضروها في النظام وأكملها في العدة .
 ولقد انتصروا على العالم شرقه وغربه باديه وحاضره بأسرع ما ينتصر
 مقاتل على مقاتل ، واحتضنوا من البشر من لم يحسبوا أن يكون
 العرب أمة لها دين ودولة وقوة ونظام . وانتشر الاسلام في القارات
 الثلاث الكبرى فغلب الاديان السماوية والوثنية معاً . والسري في هذه
 الظاهرة العجيبة من حوادث التاريخ في قوله تعالى « كم من فئة قليلة
 غلبت فئة كبيرة باذن الله والله مع الصابرين » وقوله تعالى « هو الذي
 أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما
 ألفت بينهم ولكن الله ألفت بينهم إنه عزيز حكيم . يا أيها النبي حسبك
 الله ومن اتبعك من المؤمنين . يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال إن
 يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً
 من الذين كفروا ، بأنهم قوم لا يفقهون » . وقد كشف الاسلام عن هذا
 اللغز الخفي من قوى الانسان الكامنة في خلقه ، في خلقه الروحي
 لا الجسمي . فان قوة الجسم مهما بلغت فلن تبلغ أن يهزم الافراد جيشاً
 منظماً وإن تؤلف جماعة ضئيلة في العدد نواة لقوة تفتح العالم . ولكنها
 القوة الروحية التي تخلق الارادة والعزم واستقلال العدد الكثير . بهذه
 القوة الالهية الخارقة فتوح الاسلام الدنيا وانتشر في أطراف الارض
 بأسرع مما ينتشر دين أو مذهب اجتماعي أو يتقدم جيش . ولقد كان

الاسلام قويا مهابا موفور الكرامة بقلوب المسلمين العاصرة بالايمان
المطمئنة الى الله . إلا أن هذه العقيدة الثابتة كان لابد لها من نظام يتمهده
رجال كالذين تمهده في أول انتشاره ، فلما قبض الرسول (ص) وخلفاؤه
وأصحابه الاولون من الانصار والمهاجرين ومن اتبعهم باحسان لم يخلفهم
من قومهم خلف يحفظ العهد ويرعى ذمة الدين وكيان الدولة فكان الجيل
الثاني يسير بقوة الاستمرار التي اندفع بها الاسلام . واختفى من قوة
العقيدة ما حل مكانه حب الكسب والظفر بمتاع الدنيا ثم ازدادت العقيدة
ضعفاً بقدر ما ازداد غرض الحياة قوة حتى صار المسلم يقاتل دفاعاً عن
السلطان لا عن الدين ويتقدم في المعركة على المدى الذي يسوقه اليه مقدار
ما ينال من الأجر والجراية وما تصل اليه يده من الغنيمة والكسب .
وهناك تقدم تاريخ الجهاد في الاسلام الى الطور الثاني من طوريه ، طور
الدنيا وطور الآخرة .

فالمسلمون لم يستمدوا قوتهم في القتال من خارقة في أجسامهم أو مزية
من الخلقة الطبيعية امتازوا بها على غيرهم . بل الواقع أن العرب ، وهم حملة
الاسلام الاولون إنما هم خلق نحاف الجسوم ناحلو الأبدان قليلو الدم ، وهم
أبناء بيئتهم الصحراء والمناخ القاري الشديد ، لا تساعدهم عيشتهم وموارد
بلادهم على الحياة الرافهة والطعام الوافر ، وقلماً يأتدمون بالدهن أو ينالون
اللحم أو يجدون الخبز . لذلك فقد جفت أعضاؤهم وخفت معدتهم وتجردت
أعصابهم ، فساموا بذلك من فساد العضل واختلاط المزاج وارتباك الأجهزة
وسهل على النفس أن تصفو لاستقلالها عن البدن وأن تتوفر للخلقة
الطبيعية قواها الحقيقية التي لا تستمد القوة من الافراط في الطعام ولا تدفع

عنها الألم بتناول العلاج . ومن هنا جاءت لعربي الصحراء المطاولة على الجوع والصبر على المشاق والغلبة على التعب . فهو على هذا لا يعد بطلا إذا قابلته باليوناني المصارع العبل الذراع الضخم الجثة ، ولكنه يفوقه في مقدار الصبر واحتمال المكروه والمطاولة التي لا تضيق بالقوة المادية تملأ العين وتطيف بالأفق . فهو لذلك أقوى من المصارع الجبار من حيث الاستمرار والعاقبة ، وإن كان دونه في الجولة الاولى والثانية .

فالعربي على هذا شجاع وشجاعته هذه شجاعة طبيعية ممتازة ولكن هذه الشجاعة لا تثور في كل حين ، فهي لا تثور لأي داع ما لم يكن داعياً ذاتياً يهدد نفسه أو عشيرته أو ماله . لذلك لم يكن ينقصه لتكمل مروءته إلا أن يجد الاعتبارات الانسانية والخلقية التي ترتفع بها رجولته وتتناهى شجاعته وتشرف غايته . فكان في الاسلام تمام هذه الخلقة البشرية الممتازة .

وبعد أن كان العربي لا يدافع إلا عن عشيرته ولا يغار إلا عن عرضه وماله ، أتمه الاسلام فصار يدافع عن الدين . وإذا قلنا الدين قائما هو الاسلام الشريف المبدأ الرفيع الغرض الذي أتم بآدابه وأخلاقه وواجباته وتشريعه الغاية التي من أجلها خلق الانسان .

فهناك للعربي على هذا مستمدان لشجاعته وثباته : قوة جسمه النقي ، وإيمانه بالله . وقد عزز الله سبحانه وتعالى في العربي هذين العاملين من عوامل القوة والاحتمال بأن بشر المسلمين بالنصر وبالجنة وورعهم في الحياة الآخرة على الحياة الزائلة ، فكان لهم من هذا ما حجب اليهم تعجل الشهادة واستقبال الموت . قال تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم »

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه
حقاً في التوراة والإنجيل ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به .

وقد عزز الله سبحانه وتعالى مبدأ الثبات في طبيعة العربي وعقيدته
بالتشريع إستكلاً لقوة المسلم وزيادة في الاحتياط لها وحساباً للزمن
حتى يجد المسلم نفسه مأموراً بالصبر على القتال حيثما توجه وكيفما اجتهد .
فإن كان قليل العدد ضعيف الجانب وجد الشهادة تستفزه إلى الجنة ، وإن
كان ضعيف الإيمان وجد العاقبة وبالاً على عرضه وماله ووطنه ، فقال
تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار
ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب
من الله » وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا »
وشجعهم على الثبات بقوله « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين . يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون
صابرون يغلّبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلّبوا ألفاً من الذين كفروا
بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن
منكم مئة صابرة يغلّبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلّبوا ألفين بإذن الله
والله مع الصابرين » .

من هذا يتبين لك أن المسلم مأمور بالثبات في القتال مهما كانت حاله
في المعركة . ولذلك لم يتطرق القرآن إلى الكلام على حال وقوع المسلمين
في الأسار مثلاً فصل في أحوال أسارى العدو إذا هم وقعوا في أيدي

المسلمين ، ونهى عن الهزيمة وتولية العدو ظهر المسلمين ، ولكنه استثنى سبحانه وتعالى من الوعيد على الهزيمة الحيلة في الحرب التي ظاهرها هرب وباطنها خدعة وقتال كالمبار للالتحاق بالجيش أو بجماعة يستعين بهم على العدو أو الفار بقصد الكر والرجوع على العدو عند تمكنه منه .

الوطنية والجهاد

لم تكن الوطنية معروفة في التاريخ القديم بهذا المعنى الشائع في العالم الحديث . وما يكاد المرء قبل عهد الوطنية الحديث يفهم من معناها إلا بمقدار ما توحى اليه حفيظته من الدفاع عن جمع أهله وأثائه وحاجاته الضرورية ، حتى إذا ما غلبته الاحوال سهل عليه الانتقال من موطنه ، إن صح هذا التعبير ، الى حيث يجد الأمن وسبل العيش . فلم يكن المواطن على هذا يحتوي من معاني الوطن والوطنية إلا هذا النصيب الضئيل . ولما جاء الاسلام كان العرب في الحجاز يحتجرون أنفسهم في قرى قد تقلصت وانضمت على نفسها حتى كانت فيها كل مقومات الحياة والاجتماع بحيث لا يستطيعون التفكك عنها ولا يجدون الحيلة في استبدال غيرها بها . وكان شأنهم في قراهم هذه شأن اليونانيين في القرى اليونانية في التاريخ القديم . وقد عرضت بعض الحوادث الجسام في تاريخ الحجاز القديم فلم تدع هذه الحوادث الى التفكير في الهجرة ، والنقلة الى بلد آخر . وأهم هذه الحوادث غزو الاحباش لمكة وتهديد المسلمين لها بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة . وهنا نجد للوطن والوطنية شيئاً من الوضوح في تاريخ العرب القديم .

وبعد أن استولى المسلمون على مكة وفتحوا سائر الحجاز أمن كل
 حجازي على مسكنه وماله وأهله وصار المسلمون يدينون بعقائد الدين ،
 يأتمرون بأوامره ويفتخون بنواحيه ، فخرجوا من الحجاز داعين إلى
 الاسلام ، فمن قبله دخل في هذا الدين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن
 حاربهم حاربوه حتى يُسلم أو ينزل على شروط الهدنة والسلام . وعلى هذا
 لا يكون الجهاد متأثراً بفكرة الوطنية والدفاع عن الوطن ولا بفكرة الفتح
 المجرد لتوسعة رقعة بلاد العرب . كما أنه لا يتأثر بتفرق المسلمين في أوطان
 متفرقة . وإذا ما تعارض قانون الوطن مع تكليف الجهاد كانت الطاعة
 للفرع الثابت بالنص الذي لا يسقط إلا بالأعذار المشروعة .

فهمول الدعوة الى الجهاد

من أهم مبادئ الدعوة الإسلامية الجهر بالدعوة وإعلان العقيدة ونشر القرآن ، وليس في الإسلام مجاملة ولا مصانعة في الدعوة ولا تفريق بين سيد وعبد . ولا تختلف قواعد الدين وظروف دعوته في قوم عنها في آخرين ولا في زمان أو مكان دون زمان ومكان . وقد أمر الله المسلمين بالمعاني والظهور ونهاهم عن الجهر بالمعصية والسوء . قال تعالى : « لا يجب الله الجهر بالسوء من القول » وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا بليتكم بالمعاصي فاستتروا » ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بيت الدين وإعلان الوحي كلما نزل عليه لا يخفي منه حرفاً ولا يرجئ الدعوة إلى زمان غير زمان نزوله . إن الإسلام لم يعرف المداورة والمخاتلة ولم يحل السكذب والنفاق للمسلمين مهما لقوا في سبيل الدعوة إلى الله من عنت وعبث وإنكار . ولما استقوى الإسلام ببعض المسلمين كأبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وغيرهم أمر الرسول (ص) أمراً صريحاً جلياً بالجرأة في إعلان الإسلام ، فكان الوحي حازماً جازماً بقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » . والخطاب خاص للرسول ولكنه عام لكل مسلم في كل زمان .

إن هذا الأصل من الدعوة إلى الإسلام وهو الصراحة في القول والجرأة بالدعوة من أهم الوسائل الفعالة التي جذبت الناس إلى العقيدة وجذبتهم إلى الاستجابة للدعوة . ذلك لأن الصراحة بالقول والجرأة بالدعوة لا تصدران إلا من قلب مطمئن مفعم بالآيمان بحيث تستجيب له

الاعضاء فتكون آلة ساحرة في قوة التعبير عن العقيدة واليقين ، وذلك اسلوب الدعاية والاقناع . وفي تاريخ الاسلام القديم والحديث من الأمثلة على هذا ما تغني الإشارة اليه لاستفاضة وذبوعه في الكتب وبين الناس .

نسوق هذا من أجل الافصاح عن تخاذل مسلمي اليوم وتخوفهم من الجهر بالدعوة الى الاسلام والى عقائده وأصوله العامة ، وما تخاذلهم هذا وتخوفهم الا دليل ضعف الايمان . حتى عند أولئك الذين حملوا العلم بالاسلام وعرفوا بسماء الدين . ولقد بلغ من ضعف هؤلاء أن صاروا لا يطمئنون الى أن يحملوا أحباءهم وأقرب الناس اليهم على الاستجابة لمبادئ الدين أو التخلق بأخلاق الاسلام . ولم يرتض بعضهم لأولادهم التربية التي نشأوا عليها ولا السيرة التي سار بهم آباؤهم . فصار المنتسب للعلم لا يحمل ابنه على أخذ دينه وعلوم الشريعة منه نفسه ولا من أحد غيره ولكنه يسوقه الى مدرسة تضاد الدين وتعارض مع أهداف الاسلام ، أو يخرج به الى محيط أجنبي بعيد ، وهو لم تكتمل بعد قدرته على دفع وسائل الفساد والاغراء . أو ربما ارتضى له أن يكون طبيباً أو ضابطاً أو حاكماً أو موظفاً آخر من موظفي الدولة مطبوعاً بهذا الطابع العام الذي قد يطبع طلاب المدارس الرسمية على الاتحاد أو التسيب أو اللامبالاة . وذلك مصير يهيئ المجتمع الى الاتحاد المطلق والاستعداد ولهضم المبادئ العلمانية المجردة التي تنكر على التقاليد القومية والاخلاق الدينية أن يكون لها دخل في تكوين الفرد وتوجيهه في سيرة الحياة . ولقد جرى لي بحث صريح مع بعض المنتسبين الى الدين فاتهمهم بالشك وضمف اليقين إنهم أبوا أن ينشئوا أولادهم التنشئة التي درجوا هم عليها

وعرفوا بها . ولقد قيل لهم : انكم إن كنتم مؤمنين حقاً مطمئنين الى إيمانكم كل الاطمئنان فلتحملوا أحب الناس اليكم وأقربهم منكم على سلوك هذا المسلك الذي عرفتم به وقلتم حسن الذكر بين الناس ، وما لم تفعلوا ذلك اتهمكم الناس بأنكم لا ترضون صفة العلم والدين لأبنائكم ، وان أنتم لا ترضونه لهم ولا تحملونهم عليه شك الناس بأنكم غير موقنين .

ومما كان في هذا المنطق من مراهرة فانه حقيقية واقعة لا ينكرها غير مكابر او معاند . ان العلماء حين ييكون على الدين او يتساكون عليه فان ذلك لا يخرجهم من حدود المسئولية عند الله وعند الناس عن اصابة الجمهور واهمال التعرض له بالدعوة والعظة والتعليم .

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

وان هذا الجيل اذ ينشأ على جهل دينه واخلاق قومه فانما هو معذور حين يقول : من دعانا فلم نجب دعوته ومن منكم وعظنا فانكرنا عليه ومن منكم علمنا في الصغر ولم تتعلم منه ؟ فانما نحن نشأة الفطرة والبيت ومن تعرضنا بالتلقين والتوجيه استقدنا له وجرينا خلفه . فنحن شيوعيون أو فاشيون مسلمون أو غير مسلمين تبعاً لمن يستغل فطرتنا ويوجهنا الوجهة التي يريدنا على اتجاهاها . وهما هي مدارس الدولة قد اشربتنا حب (اللامبالاة) فنحن لا نعرف ديناً ولا قومية ولا تربية اسلامية ، لأن هذه المدارس لم توجهنا الى شيء من هذا . وهم في كل هذا صادقون .

هذا الاهمال في توجيه الجيل هو الذي جرّ على البلاد الاسلامية والعربية مغبة ضعف العقيدة وذهاب اليقين، فجعلهم فريسة الدعايات وضحية

المبادئ الطارئة على هذه البلاد . وهي مبادئ لا تلائم العقليّة العربيّة ولا تجري مع فطرة الاسلام . وان هذه القوضى الكارثة في العقيدة والاخلاق هي التي جعلت المسلم اليوم لا ينتسب الى دينه ولا يعترف بقرآنه ولا يفخر برجاله وبنسأه حضارته ولا يهتم بتاريخ أمته . حتى لقد صار النادر منهم من ربي تربية اسلامية لعوامل يئنية وعائلية خاصة غريباً بين اصحابه شاذاً في قومه يرى بالانحطاط والتأخر . فأنت اليوم لا تجد في العراق رأياً دينياً ولا جمهرة مسلمة ، ولا تجد من يتلمس الرابطة الدينيّة بينه وبين الآخرين ، ولقد نجد من يتحسسون برابطة أياً كانت غير الاسلام . كما نجد الناس هنا يحملون على الاسلام ولكنهم لا ينتسبون اليه أو لا يأنهون بالانتساب اليه . ولقد عرفت من يتحمل المسئولية عن هذا التفكك والانحلال في الدين والأخلاق .

ونحن هنا لا نريد ان نوأس الناس من المسلمين في هذا البلد ولكننا نصف الواقع والحال وهما واقع وحال قد كفّل الاسلام وطبيعة عقيدته علاجها والوصول الى جلائها من هذه الأضرار الغريبة عنه . ان الاسلام لا تموت جذوته ولا تخمد حماسته ، ولكن المسلمين ، وهم بشر يفترسون ويحملون تبعاً لعوامل اجتماعية وسياسية معينة ثم لا يميّز فيهم هذا الفتور والحمول عقيدة الاسلام . ولقد اثبتت القرون الماضية ان الاسلام قابل لليقظة والتحرر والتجديد والانبعاث في كل حين ، حتى لتأمل ان لا تفرق في الايمان بين المسلم الذي يعيش اليوم في شمال افريقية وفي فلسطين وفي اندونيسيا والباكستان عن المسلم الذي كان يحيا بين ظهري الرسول واصحابه . وكل ما ينقص المسلمين اليوم حركة وقائد

يبحث المسلمين الى هذه الحركة فاذا ما من الله على المسلمين وبعث فيهم
نذيراً منهم فان الاسلام زعيم بفتح العالم اليوم مثلما فتحه من قبل
بالرحمة والاخوة والسلام .

إن المسلمين اليوم لا يعرفون أهمية الجهاد ولا يفهمون شرعيته حق
الفهم . فهم في هذا نبت تلك التريبة وثمره الاهمال واللامبالاة . وانه ليس
على المرء أن يستفز في سواد المسلمين عقيدة لا يتعصبون لها وأن يؤنبهم
على عدم العمل بركن لم يعرفوا انه شيء خطير في الاسلام . إتنا نضع هذه
الرسالة في هذه الايام العصيبة على المسلمين ونوجه الخطاب فيها للجمهرة
أهل هذا الدين الذين ناء آباؤهم واجدادهم بثقل الدعوة الى الاسلام
وجاهدوا فيه حق جهاده وأقاموا عمود القومية العربية والدين حتى فتحوا
مسالك الاقطار وملكوا المشاعر والقلوب . ولعل في هذه الصرخة ما يبعث
في القراء الفريزة الاسلامية الكامنة في خفايا نفوسهم والمنحدرة في
اصلابهم وأرحامهم فتنبثق جارية عنيفة داعية الى مادعا اليه الله ورسوله
والمؤمنون فتفتح بين يدي الناس باباً جديداً من الهداية وتكشف لهم عن
علاج نافع لمشاكل العالم العصبية التي عقدتها وأعضلتها عوامل سياسية
واقتصادية ضاقت بحددود الاقليمية والوطن ولم تتسع لمبادئ المحبة
والاخوة والتعاون بين الناس أجمعين .

الكيان السياسي والجهاد

سبق لنا القول بأن الجهاد في الاسلام وسيلة لا غاية بنفسه وانه في الاصل فرض كفاية إذا كفى فيه بعض المسلمين سقط عن الآخرين أما إذا لم يكف فيه بعض المسلمين بأن دام بلاد الاسلام خطر عام لا يقيسر دفعه ببعض منهم دون بعض كان فرض عين يتناول جميع المسلمين مثلما تناولهم سائر الفروض العينية الاخرى.

من كل ما تقدم تبين لنا الامور الجوهرية التالية :

١ - أن الجهاد فرض عين محتوم عند وقوع المسلمين في خطر عام .
٢ - أن الجهاد لا يتقيد بزمان ولا مكان كما لا تتقيد الصلاة والصيام وغيرهما بعصر دون عصر ولا ببلد دون آخر . فهو تشريع اسلامي باق مهما شاء الله .

٣ - ان الفرض من الجهاد ذو وجهين أحدهما الدعوة الى الدين وثانيهما الدفاع عنه .

ومن أجل معرفة شمول عينية الجهاد على المسلمين اليوم أو كفايته لا بد من معرفة حال المسلمين من حيث كونهم مكلفين به - هذا الواجب من جهة وكونهم في خطر يوجب عليهم الجهاد العام من جهة اخرى :

إن من عوامل فتور المسلمين عن الجهاد اعتقادهم بأن الجهاد إنما هو فرض معطل لفقدان الصفة الرسمية لكيان المسلمين . ويعنون بهذه الصفة الرسمية وجود دولة منظمة لها كيان استقلالي ورئيس مسلم يستمد السلطان

من الوجه المشروع الذي يتسلط به على الأمة في قيادتها وتنظيم أمورها في الداخل والخارج . وهذا الوجه المشروع هو اختيار الأمة المحض المعاري عن كل شائبة وطعن . والواقع أن الأمة لا يكون لها وجود قانوني إلا بوجود هذا الكيان الدولي المشروع . ولكننا هنا تجاه أمر آخر غير كيان الأمة السياسي أو القانوني . هذا الأمر هو أننا نبحث في شرعية ركن الجهاد في الاسلام ، وإن لم نقل ركن الجهاد فلنقل واجب الجهاد . فالجهاد ثابت الشرعية بالنص وبالمعمل المستمر منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ، وهذه الشرعية غير مقيدة بقيد ما . وحكمة شرعية هذا الفرض حفظ كيان المسلمين بوصفهم أمة لا بوصفهم دولة ذات كيان سياسي . فالاسلام إنما فرض الجهاد لنشر الدعوة ، فإن اعترض نشرها معترض لم ينفع في دفعه غير القتال كان القتال هو الوسيلة المحتمة لدفعه . وهل من المشروع أن يعم المسلمين خطر عظيم مثل خطر الصهيونية اليوم ثم يقعدون عن المقاومة بحجة أن الجهاد غير واجب عليهم لعدم وجود الدولة السياسية للمسلمين ؟ أو أن القومية العربية وحدها لا الأمة الاسلامية هي المسئولة عن الدفاع عن فلسطين ؟ إن هذا المنطق يضاعف المسئولية التي تثقل كاهل العرب ، ذلك أن هذه المسئولية تكون دينية قومية في وقت واحد فهي على العرب واجب قومي وهي على المسلمين عرباً وغير عرب واجب ديني .

إن القول بتوقيف الجهاد على وجود الكيان السياسي للمسلمين يؤدي بنا الى تعطيل نص القرآن والى إهمال الدفاع عن الاسلام والمسلمين معاً ، ومعنى هذا من الطريق المخالف أننا اليوم غير مخاطبين بالتصدي لكل متعرض

الكيان المسلمين أو الامتناع على كل مستعمر يريد الاستيلاء على الأمة الإسلامية ... وانتنا الى هذا غير مكافين بدفع الخطر عن الاسلام نفسه، فنسمح باهانة الاسلام والطعن فيه والتعرض لسبيله بالتبشير لأي دين يدعو المسلمين الى تبديل دينهم واستبدال غير الاسلام بالاسلام. أن التوهم بتعطيل فرض الجهاد يجر بنا الى هذه النتيجة حتماً، أي إهمال الدفاع عن الاسلام والمسلمين معاً.

إننا لا نعتقد أن بين المسلمين من يجري مع هذا المنطق ولا من يستسلم لنتائجه ، ولكننا نريد أن نقطع هذا الاحتمال وهو الاحتمال المتصور وقوفه في وجه القول بتجديد الدعوة العامة الى العمل بفرض الجهاد في الاسلام . وإن تاريخ هذا الدين ليتنافى مع هذا المنطق أيضاً . ذلك أن المسلمين كانوا في جهاد مقيم مع عدوهم منذ قيام الاسلام والدعوة اليه الى اليوم . فلم يصح أن المسلمين كانوا في دولة ذات شكل سياسي أو صبغة ثابتة عند ما فرض عليهم الجهاد في صورتيه ، أي نشر الدعوة ودفع العدو. والواقع أن هذا الاهمال الذي نشكو مرّ الشكوى تمكنه من قلوب المسلمين إنما جاء مع العوامل التاريخية لكيان المسلمين السياسي . فقد تداول أمر المسلمين بعد زوال كياناتهم السياسي أمم شتى مختلفة الأجناس والغايات . وتعددت هذه الأمم وتعاقبت على حكم المسلمين وكانت غايات أكثرها ذاتية لا تتجاوزها الى صالح المسلمين العام ولم يعنوا من هذه الأمة المتبددة إلا قيام سلطانها واستغلال الدين والحفاظ في الدفاع عن السلطان السياسي للقومية الحاكمة وتمكين أمرها من زمام المسلمين . ثم تلا هذا التفكك والانحلال في كيان الأمة الإسلامية ظهور الاستعمار الغربي ، فحل

محل الحكم المسلمين المتعديدين المتضاربين دول قوية السلطان عظيمة الحيلة
واسعة التدبير ، فكان في هذا القضاء المبرم على عقيدة الجهاد في الاسلام
يوصفه عقيدة مقدسة وفرضاً عاماً واجب التنفيذ .

ولكن هذا لا يخل بالقول بأن الجهاد فرض باقٍ واجب العمل به من
أجل حماية الدعوة الى الاسلام ومن أجل الوقوف أمام من يتعرض هذه
الدعوة أو يهدد كيان الدين ومعتقديه بالخطر والزوال . بل إن دخول
العالم الاسلامي في هذا الطور من الحكم وهو دور الاستعمار الجديد ليدفع
به أكثر من أي وقت مضى الى التمسك بكل وسيلة تحقق له التحرر
والاستقلال .

إننا نعتقد أن فقدان الكيان السياسي للمسلمين يضاعف عليهم التكليف
بالجهاد بأكبر مما كلفوا به منذ ظهور الاسلام الى اليوم . ذلك أن
المسلمين اليوم أمام خطر حقيقي تناول الدين والاسلام والعربية والتاريخ
ونظام الحياة والتقاليد . وهم قد دخلوا في منطقة هذا الخطر منذ الحروب
الصليبية المعروفة . وقد عانوا من شدته وثقل وطأته ما ينذر بشر
مستطير قد يؤدي ، والعياذ بالله ، بالمروبة والاسلام الى طور يجعلهما فيه
من مواد الأساطير والتاريخ . بدأ هذا الخطر باسطاً نفوذه الرهيب بظهور
الدول الاستعمارية الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا واسبانيا وهولنده
وهي الدول التي تسيطر على بلاد الاسلام ولا يخرج متنفس فيها من
المسلمين وغير المسلمين عن قبضتهم وسلطانهم في السياسة والاجتماع

والاقتصاد وفي كل ما هو من مقومات الكيان والحياة . وإنما نحن اليوم
 في قبضة هذا الملاق الجبار (السلطان الغربي) لا ننجينا منه غير الوحدة
 والتوفر على أسباب القوة الجديدة ، ولا سبيل الى هذا إلا بالأخذ
 بالوسيلة الأولى التي أخرجت الناس من الظلمات الى النور فحررتهم من
 العبودية والرق والضلال . تلك الوسيلة هي عقيدة الجهاد في الاسلام .

المرونة العثمانية والجهاد

إن تاريخ المسلمين المتأخر حتى قيام حرب ١٩١٤ على غموضه وارتباكها وامتلاك الأمم المسيطرة على بلاد المسلمين لمصادره يرينا أن المسلمين ما انفكوا يجاهدون في سبيل الله دفاعاً عن دينهم وكيانهم وأنهم واجهوا خصوماً هم أشدّ عداءً للإسلام والمسلمين من مشركي مكة وأمة الفرس والرومان وغيرهم حين ظهور الإسلام...

هذا الجهاد ما زال سلسلة متصلة الحلقات منذ ظهور الإسلام حتى هذه الساعة. وعلى أننا لسنا بصدد بحث تاريخي في هذه الرسالة الخاطفة فإننا نستطيع استعراض هذه الحلقات المفردة استعراضاً يفيد القارئ في تتبع مصادره والاتعاض بأسفاره الزاخرة بالدماء الزكية التي سالت أنهاراً في سبيل الله والانسانية المعذبة التي ابتليت بصور مشوهة ظاهرها ثقافة وحضارة وحرية ومجد وباطنها خزي وعار وجور لم يعرف لها الزمان مثيلاً.

إن الجهاد ما انقطع تكأة المسلمين في حفظ دينهم وكيانهم وأوطانهم منذ انهارت أركان الدولة العباسية وزالت خلافة العرب الى هذا التاريخ، فقد بقي المسلمون في حرب مع الاقوام الوثنية الطارئة عليهم من أواسط آسيا وشرقها، ومع المسيحية المشوهة التي أساءت الى المسيح والانجيل في طرد العرب من اسبانيا وإيذائهم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم، وتعريضهم لأنواع الفتك والتعذيب، وكلها مما تنكره الانسانية والأديان. حتى إذا ما ظهرت الدولة العثمانية في سماء الإسلام احتضنت الخلافة

ورفعت راية الدين وسمت الحرمين والقدس . فرأى فيها المسلمون رمزاً
لدين وشعائره وقوته وشريعته ، فاطمأنوا اليها وألقى اليها المسلمون في
مشارك الارض ومغاربها قيادهم واعترف بالخلافة للعثمانيين رعايا الدول
غير الاسلامية وكانت رابطتهم معها أكبر من رابطتهم مع تلك الدول
بالولاء السياسي والسلطان . ثم ساعدت الخلافة العثمانية على أن يمتدوا
بسلطانهم من جبل طارق الى حدود الهند وما بين شواطئ البحر الابيض
المتوسط وأعماق افريقية . ثم غزوا اوربا فنشروا فيها الاسلام وزاحم
المسيحية على أبواب كنائسها الكبرى في البلقان والنمسا وايطاليا .

إن هذا السلطان العظيم الذي حالف الترك وعلا على ما حوله في العالم
شرقيه وغربيه لم يتهياً للعثمانيين إلا بالجهاد. ولو أن الاثراك حين خرجوا من
موطنهم بقوا على الوثنية والجاهلية البربرية لما اتسح لهم أن يسيطروا سلطانهم
على شيء من هذا الملك العظيم أو أن يستديموا أمره طوال تلك الحقبة
الطويلة من الزمن . ولكن الاسلام هو الذي هذب الاثراك فجعل منهم
أمة مؤمنة ذات عقيدة وخلق روحي وغايات انسانية ومثل عليا، وهياً لهم من
الجهاد ركناً قوياً قامت عليه الامبراطورية العثمانية العظيمة . وإن التاريخ
ليروي أن العثمانيين ما كانوا يتقدمون شبراً في ارض اوربا إلا باثارة
عقيدة الجهاد ورفع راية الخلافة وجلال لفظ :

﴿ الله أكبر ﴾

هذه الكلمة التي فتح بها محمد صلى الله عليه وسلم مكة وفتح بها أبو
بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ومن بعدهم من خلفاء المسلمين أقطار

الأرض وعروض البحار وعواصم الدنيا ، هي التي فتح بها الاتراك
 القسطنطينية وشارفوا بها على اسوار فينسا . إن (الله اكبر) هي الرمز
 الخالد الذي ينطوي عليه جوامع كل مسلم والمتنقل في أصلاب الآباء
 وأرحام الامهات . واذا ما قدرت الناس اليوم بـ (الله اكبر) فانك ستشعر
 ما في الاصلاب والارحام فتهمج النفوس الى الموت والخلود . ولم يشعر
 أحد بحماس المسلمين وهياجهم للفظ (الله اكبر) ورهبة الدعوة الى الجهاد
 مثل أعداء الدولة العثمانية أنفسهم الذين كانوا يرتدون كلما اصطدموا بجنود
 الخلافة حتى على أبواب عواصمهم وتحت أسوار معاقلم . ورب معركة
 يكون فيها العدو أضعاف المسلمين لا تلبث أن تنجلي عن فضيحة لأعظم
 قواد الروس أو الصرب أو اليونانيين . إن (الله اكبر) غزت أعالي البرية
 وقلب فرنسا ومعاقل البلقان ووسط اوربا ، وما ارتدت عن ضعف حتى
 نزلت عقيدة الاسلام في تلك البلاد سهولها وجبالها فعزت بالاسلام وما
 يزال بها الاسلام كريماً عزيزاً .

ولقد بلغ من رهبة (الله اكبر) في قلوب الروس وشعوب البلقان
 وسائر اوربا أن نبأ عن العثمانيين كل سلاح وانحسرت عنهم الجحافل
 الحاشدة من الجيوش ... إن وصف الاوريين لحروب الاتراك في اوربا
 إنما يتناول صفة التضحية في الجندي التركي من حيث هو مسلم يقابل
 مشركين لا من حيث هو وطني معروف بالشجاعة النادرة والقوة التي
 لا تقهر . ولذلك هم يصفون هذه الحروب بالجهاد أو الحرب المقدسة
 والدعوة الى الدين . وفرق بين جندي ينشد الموت للشهادة والخلود وآخر
 مدفوع بدافع دنيوي قد يغلبه عليه حب الحياة .

إن تاريخ الدولة العثمانية يرينا أن هذه الدولة ما وفّت في الجهاد ولم ينقطع اصطدامها بالدول الأوروبية التي كانت تثير عليها الحروب كلما وجدت إلى الحروب سبيلاً وأن هذه الدولة كانت ترى في العثمانيين خطراً جسيماً يهدد العالم الأوروبي من ناحيتين: الاختلاف في الدين والاختلاف في الجنس ولقد كانت أوروبا تتحين الفرص للإيقاع بالعثمانيين والاستيلاء على دولتهم حتى دب الاضمحلال إلى جسم هذه الدولة من كثرة الدسائس والفتن التي كانت يدبرها لها أعداؤها في الخارج والداخل وخاصة روسيا وأمارات البلقان . وقد كانت هذه الدولة الأخيرة أشد أعداء العثمانيين وأكثرهم حرباً على الخلافة . ويلبها في العداوة لها إيطاليا وفرنسا واليونان ثم سائر شعوب البلقان . فلقد كانت روسيا تبغي الاستيلاء على تركية الأوروبية والمضائق التي كانت تحسب لأهميتها حساباً كبيراً . وكانت شعوب البلقان تبغي طرد العثمانيين والحصول على الاستقلال ، ويبغي الإيطاليون الاستيلاء على شواطئ الأناضول الغربية والجزر المحاذية لها وإحراق شمال أفريقيا المقابل لإيطاليا بها ، ويبغي الفرنسيون ضم الجزء الآخر من أفريقيا العربية المقابل لفرنسا إلى الدولة الفرنسية . فوجدت هذه الأمم في كثرة الحروب والفتن التي عانتها الدولة العثمانية ما شجعها جميعاً على بلوغ ما آربها . فغبر الفرنسيون بأساطيلهم إلى شواطئ أفريقيا العثمانية ، فحزبت سفنهم الحربية الجبارة سواحل الجزائر ثم احتلتها سنة ١٨٠٠ . وعزل صبر الإيطاليين فلم يغتنموا الفرصة إلا سنة ١٩١١ حين عبروا إلى طرابلس يريدون ضمها إلى إيطاليا . فلما تم لهم ذلك تألبت الشعوب البلقانية على العثمانيين وأعلنت عليهم حرباً صليبية نشر صبغتها الرسمية دول أوروبا

العظمى التي أعلنت الحرب على الدولة المسلمة تأييداً لهذه الشعوب ثم انجابت سحبها عن جلاء الدولة العثمانية عن هذه الاطراف من امبراطوريتها الواسعة ، ولم يبق لها من املاكها في اوربا غير القسطنطينية . ولم ينج هذه المدينة ومضائق الدردنيل والبسفور إلا تنافس الدول الاوربية الكبرى عليها وتجنب الخطر الذي يهدد انكلترا وفرنسا من تمكين روسيا من الاستيلاء على هذه المواقع الحربية الثمينة .

أما مصر والسودان فقد احتلتها انكلترا في اواخر القرن التاسع عشر . ولم تحل سنة ١٩١٤ وتقم الحرب العالمية الاولى حتى كانت الامبراطورية العثمانية قد تجردت من جميع أطرافها واجزائها المهمة ولم يبق في قبضتها منها غير بلاد الشام والعراق . ثم ما إن انتهت هذه الحرب حتى فقدت هذين ايضاً وتقلصت هذه الامبراطورية العظيمة الى دولة قومية محجورة في بلاد الاناضول وولاية القسطنطينية مقر الخلافة التاريخية الجليل .

بهذه اللوحة الخاطفة نأتي على تاريخ الاصطدام العنيف بين الدولة الاسلامية حامية الخلافة والناهضة بالاسلام والدول التي كانت تتآمر على اخراج الاسلام من امبراطوريات العالم القديم . ولكن هذا التاريخ الخاطف مرّ بجهاد مقدس قلّ أن مر له نظير في تاريخ الاسلام .

العالم الإسلامي والجهاد

وما إن تيقن العالم الاسلامي من تفكك الرابطة الاسلامية في ديار
الخلافة حتي هب هبة عنيفة يقاوم كل دخيل على بلاد الاسلام . وجهاد
افريقية العربية المسلمة لفرنسا وايطاليا واسبانيا من أروع مظاهر الرابطة
الاسلامية المتينة ومن أحفل الشواهد على قوة هذه الرابطة في تاريخ
الاسلام ويكفي على هذا مثلاً حرب الشريف السنوسي مع الايطاليين
وحرب الأمير عبد القادر الجزائري مع فرنسا وحرب الأمير عبد الكريم
الريفي مع أسبانيا وفرنسا وايطاليا معاً . ان هذه الامثلة الثلاثة على تاريخ
الجهاد في افريقية العربية لتثير في العالمين الاسلامي والعربي لواعج
ولوعات عنيفة يرتج لها جسم المسلم والعربي ويفور لها دمه مهما تقادم عليها
الزمان . وان في صفحات جهاد السنوسي وعبد القادر وعبد الكريم
وخلفائهم من بعدهم إلى هذه الأيام ما يعلا نفس المسلم فخراً وعزة كما يستثير
فيها شهوة الثأر والانتقام لحوادث وجنایات ارتكبتها فرنسا وايطاليا
واسبانيا ضد الاعراض والدماء والأموال ، وفضائع ومثلات تقن في
ابتداعها الوحش الاوروبي فاخرجته من طور البشرية الى طور الوحوش
الضارية الخبيثة . فكم من نساء أهين عقافهن ثم استبيحت اعراضهن
وبقرت بطونهن ورمين في العراء كما ترمى الجيف ! وكم من منازل وقرى
ومدن استبيحت ليالي وأياماً لا يسأل أجنبي فيها عن دم يسفك أو ماله
يسلب أو عرض ينتهك ! وكم من بطل شجاع لم يدرع بغير الشجاعة ولم

يتوسل بغير السلاح أخذ جثة هامة فثقل به ميتاً بعد أن عجز العدو
 عن لقاءه في ميدان الكرامة حياً ! وكم من مسجد اهينت حرماؤه بسنابك
 الخيل وأخذ القرآن فجعل وطاء لحوافر الخيل ! ألم يأخذ الطليان الشيخ
 المهيب (عمر المختار) فيرفعوه على الاعواد لم يحترموا بياض شعره وكبر
 سنه ؟ ألم يخلقوا بالمسلمين في طياراتهم في أجواز السماء ثم رموهم من حلق
 حتى تهشمت اجسامهم على الارض ؟ ألم يخرج الفرنسيون والطيالان العرب
 من مدنهم وقراهم نساءً وأطفالاً وشيوخاً ، لأن الشبان كانوا في ساحات
 الوغى ، فساقوهم ألوفاً مؤلفة الى الصحارى السحقية ثم سيجوا عليهم
 حتى أماتوهم جوعاً وعرياً وعذاباً واحلوا محلهم في عقاراتهم فرنسيين من
 فرنسا وإيطاليين من إيطاليا ! ما حروب السنوسي وعبد القادر وعبد الكريم
 إلا جهاد في سبيل الله والوطنية والانسانية ضد أمم لم ترع في الله ولا
 في الوطنية والانسانية ذمة ولا كرامة . وسيحفظ التاريخ جهاد العرب
 في أوطانهم ليكون نبراساً للمسلم والعربي يهتدى به في هذه الظروف
 العصيبة وينير بصيرته وقلبه حتى ينزل بيديه آثار هذه الدول الفاشية
 المتوحشة من أوطان العروبة والاسلام . ان افريقية العربية المسماة مازالت
 تحمل راية الجهاد وما زالت تعاني الولايات وتبذل التضحيات الجسيمة في سبيل
 كرامتها ودمائها واموالها واعراضها مثلما بذات من قبل أيام السنوسي
 والجزائري والريفي . ان هذه الآلام ستزيد النار ضراماً وستلهب قلوب
 العرب والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها وعند ذلك سينتقم الاسلام
 لنفسه وتثار العروبة لدمائها واعراضها . وأي انتقام ! ان اوربا المنهارة

اليوم لتستر خذلانها وضعفها بقوة الاستمرار وبأساليب التمويه التي زال عنها الحجاب وانكشف لنا منها ما نعلم وما لم نكن نعلم . لقد خارت عزيمة اوربا ولن يبعثها الدولار الامريكى وستقف العروبة والاسلام معها وجهاً لوجه وعند ذلك تعرف فرنسا وايطاليا واسبانيا ما جر عليها موقفها من العرب والاسلام . ضمنا حفل باحد المغاربة المجاهدين الذين قدموا الى بغداد منذ عهد قريب فروى لنا من كفاح اخوانه العرب ما يثير في النفس اللوعة والشجى . كما روى لنا من وحشية المستعمرين ما يندى له جبين ابن آدم خجلاً . بربك ما هي الانسانية التي تنتسب اليها فرنسا عند ما تعجز عن ملاقات العرب في ساحة القتال فتعمد الى عشر قرى عربية قد خلت من كل قادر على حمل السلاح غير الصبيان والنساء والشيوخ ، فتدك هذه القرى العشر بقنابل الطائرات دكاً ثم تصب عليها النفط من الطائرات فتعود اليها هذه بالنار فتضررها في الجحود والنبات حتى لم يبق فيها جميعاً أثر للحياة في حيوان أو نبات بله الانسان وامست وكأنها ركام بركان خامد منذ عشرات السنين !؟ ما هذه الانسانية التي ينتسب اليها هؤلاء ؟ وأي هي الانسانية عند رجل من لندن يأخذ الصبي الذي لم يبلغ الحلم فيضعة في التلاجة الكهربائية حتى يجمد دمه ويقف قلبه ثم يخرجها قبل ان تزهق روحه فيأمر بذلك جسمه حتى يعود دمه الى مجراه فاذا ما أحسن منه حياة اعاده الى التلاجة . جعل يفعل فيه ذلك مرة بعد اخرى حتى فقد جسم الصبي المقاومة ففارقته الروح الى عليين! ما ذلك بربك!! اهل عرف تاريخ البشر شيئاً من هذا على عهد الفراعنة والبابليين والآشوريين

ومن قبلهم ومن بعدهم ؟ كم قيل لهم اننا عرب ومسلمون وانكم غير عرب ولا
مسلمون اخرجوا من بلادنا . كيف نستحلون انفسنا وأموالنا واعراضنا !
لكم مدنيتكم ونظامكم في الحياة ولنا انفسنا وما ورثنا من خير وشر .
إننا لن نؤمن لكم ولو ملكتم علينا جميع أسباب الحياة

وفيما يلي تجد البيان الذي أصدره السيد علال الفاسي زعيم حزب
الاستقلال المراكشي في الذكرى السادسة والثلاثين من جهاد المراكشين
ومقاومتهم لحماية الافرنسيين . هذه الحماية التي فرضت على مراكش سنة
١٩١٢ والتي صمد لها المجاهدون المغاربة فكانوا فيها مثال المجاهد الذي
لا ترهبه القوة ولا يوهن من جلده الكفاح . وهو بيان يفصح لك عن
المقاومة المستمرة والكفاح المثابر منذ احتلت فرنسا تلك البلاد الاسلامية
الى اليوم

« منذ ست وثلاثين سنة أرغمت البلاد المراكشية تحت الضغط
العسكري والتأمر الدبلوماسي على الوقوع تحت نظام جديد يسلبها
الحرية والاستقلال ويستعبد لها حكم استعماري جائر . وقد كان من أثر
هذا الامر ان وزعت البلاد الى مناطق نفوذ مختلفة فرنسية واسبانية
ودولية تتحد كلها في تحمل مظالم نظام الغاصبين وترزح جميعاً تحت نير
المستبدين .

« ولقد وقف الشعب المراكشي من هذا التصرف الدولي موقف
الرافض العنيد والمقاوم المستميت فاستمر ينازل الجيوش الفرنسية
والاسبانية سياسياً وعسكرياً طيلة ثلاثة وثلاثين عاماً ضحى فيها بخيرة

ابنائهم وتحمل فيها من مصاعب الحرب وأهوال المقاومة ما لم يتحملة غيره من شعوب الارض في هذا العهد الحديث واطهر من ضروب البطولة والشجاعة ما يستحق ان يسجل في صفحات الخلود .

« واذا كانت القوات الفاشية قد استطاعت بما لها من الوسائل الجهنمية ان توقف مؤقتاً مقاومة بلادنا العسكرية فان الامة المراكشية لا تزال صامدة في وجه الغاصبين باساليب المقاومة السياسية تعلن للعالم اجمع رفضها لكل احتلال اجني وتمسكها الدائم باستقلالها الخالد الذي لم يستطع أي طغيان ان يسلبه في عصور التاريخ .

وان الشعب المراكشي الذي ينوء تحت اثقال الاستعباد الفرنسي والاسباني والدولي والذي ين من جروحه التخينة ليقف في هذه الذكرى مرة اخرى ليعلن ثورته العاتية ضد التصرفات الجائرة التي يقوم بها الفرنسيون والاسبانيون لتنظيم وسائل الابداء لمراكش العربية ويصرح للعالم بانه ما رضي ولن يرضى بالنظام الحاضر المفروض عليه وانه لا يمكنه ان يجد حياته الطبيعية إلا على أساس الوحدة الكاملة لارضه والحرية التامة لافراده والاستقلال الكامل لدولته .

« وفي الوقت الذي يستعد فيه الفرنسيون والاسبانيون لارضاء بعض الدول الاجنبية من الوجهة الاقتصادية على حساب مراكش يعلن الشعب المراكشي للضمير العالمي أنه لا يعترف أبداً بأي عقد تعقده فرنسا واسبانيا مع غيرها وانه يتحفظ ازاء كل اتفاق لم تمضه الامة بواسطة حكومة شرعية تمثلها تمثيلاً صحيحاً وتمكون للشعب عليها من الرقابة

ولجلالة الملك من الرضى ما يؤهلها لان تتحمل مسؤولية الكلام باسم الامة والعمل نيابة عن الدولة .

« ويصرح بأن التدابير التي اتخذتها الدول لاعادة نظام طنجة القديم واستدعاء كل من روسيا أولا وإيطاليا ثانياً للمشاركة في حكم هذا الجزء من بلادنا تعتبر عملاً غير شرعي ولا مقبولا لانه ليس لاحد ان يتصرف في مصير مراكش أو جزء من اجزائها إلا الشعب المراكشي . والشعب لا يقبل لمدينة طنجة إلا المصير العام الذي يريده لسائر مناطق البلاد المتحدة تحب ظل العرش العلوي الشريف .

« وفي الوقت الذي يواصل فيه الشعب ملتفاً حول جلالته ملكه كفاحه الخالد من أجل التحرر والانعقاد يحبي اخوانه المجاهدين من أجل الغاية التي يعمل لها في السودان وفلسطين وليبيا وتونس والجزائر ويعلم ثقته السكاملة في مصير الامة العربية ويؤكد بأن التضامن التام بين المسكافين في سبيل البعث العربي خير ضمان لتحقيق العاجل لما نصبو اليه من مثل عليا واماني كبيرة .

« ويهيب بدول الجامعة العربية ان تخطو خطواتها الفعالة في اعلان مناصرتها لشعوب المغرب العربي لتعرف الانسانية ان قضية الحرية العربية قضية واحدة وان الجامعة العربية لا تفرق في العمل لها بين جوانب البلاد العربية سواء في المشرق أو في المغرب .

وحزب الاستقلال الترجمان الامين لارادة الشعب المراكشي يعاهد العرب على مواصلة العمل لخدمة القضية المراكشية على أساس الوفاء للعروبة والاخلاص للحرية والاستقلال . »

هذا في افريقية العربية أما في مصر والسودان فان الانكليز لم يلقوا فيها برداً وسلاماً وكفاك ذكر ثورة المهدي وعرابي باشا وكفاك ذكر آ جهاد المصريين والسودانيين منذ انشب الاستعمار اظافره في بلاد المسلمين. هذا في الغرب الاسلامي أما في شرقيه فقد كانت مظاهر الجهاد بارزة في حروب فارس والافغان على الروس والانكليز حتى لقد عاد عدوان هاتين الدولتين عليهما بالوبال فخرستا من الجنود في قتال الصحارى والوادي والجبال ما لم تخسراه في حروبها مع الدول الكبيرة . حتى ان القبائل الافغانية أبادت في معركة واحدة جيشاً انكليزياً مؤلفاً من سبعة عشر الف جندي . ولم يهدأ الانكليز في الهند مادامت القبائل الافغانية تائرة عليهم . وفي الهند والصين ما اتفك المسلمون يقاومون غلبة غير المسلمين ولا يرتضون بغير حكم المسلمين بديلاً . وفي اندونيسيا المسلمة وجدنا الهولنديين يصلون نارا حامية من جهاد المسلمين وتحريمهم طاعة المسلم لغير المسلم ، وما زالت هذه الامة المسلمة في نضال عنيف مع هذه الدولة المستعمرة الفاشحة منذ استيلائها عليها حتى اليوم . وكانت ثورة المسلمين في الصين في أواخر القرن التاسع عشر من أعجب الثورات الاسلامية التي جعلت الجهاد لها هدىً وشعاراً .

أما في الحرب العالمية الاولى نفسها فان القتال أخذ طور الجهاد المقدس واعلنت الخلافة وجوب الجهاد على كل قادر على حمل السلاح ، أي أن الخلافة ومشيخة الاسلام حكمت بعينية الجهاد لعموم الخطر الداهم على ديار المسلمين بحيث لا يغنى في سد الخطر بعضهم عن بعض . ذلك ما ألب

جميع العالم الاسلامي على اعداء الخلفاء فكان المسلمون في مصر والسودان
وشمال افريقيا والهند قلوبهم مع اخوانهم العثمانيين المجاهدين واجسامهم
تحت وطأة الحكم الانكليزي والفرنسي وغيرها . ومن أهم مظاهر هذه
الرابطة الجامعة أن ألف المسلمون في الهند جمعية الخلافة فجمعت للدولة
العثمانية بضعة عشر مليون ليرة رغم أن الانكليز يعرفون بأنها تنفق في
الحرب عليهم ، وأن فرنسا لم تستطع توجيه الجيش الجزائري في ساحات
قتالها ضد الاتراك .

ولما انتهت الحرب سنة ١٩١٨ لم يكن الجهاد قد خفت أمره فقد هبت
الحرب الاسلامية في هذه المرة في الشرق الاسلامي مثما هبت في غربه
بعد خروج الدولة العثمانية منه ، فقامت الثورات العديدة في سورية
وفلسطين والعراق وكان لونها الديني هو الغالب . حتى أن ثورة العراق
المعروفة كانت صدى لفتاوي الأئمة المسلمين الذين أجازوا الخروج على
دولة تريد الاستيلاء على بلاد المسلمين وليست منهم .

ويحسن بنا أن نذكر هنا بعض الأمثلة على اضطباع الصراع الدائم بين
الدول المسيحية المستعمرة وبين المسلمين بصيغة الجهاد . هذه الأمثلة أوردها
الكتاب الغربيون ومؤرخوهم ممن درسوا الاسلام وعانوا قضايا الشرق
العربي فحذروا أممهم من ارهاق العالم الاسلامي ونصحوهم بأن يرجعوا الى
الحسنى والانصاف في علاقاتهم بهم قبل أن يدهمهم خطر الاسلام بجهاد
شامل لا يبقى على شيء منهم ولا يذر . فقد قال بعضهم : ان الترك والعرب
بعد نزول الايطاليين الى طرابلس صاروا اخوانا يقاتلون بروح عجيبة
تبعثها فيهم دعوة الجامعة الاسلامية مستبسلين بلا صدورهم ضرام

التمصب الذي لا ينطفيء مما حمل ساسة الغرب على الجزع والارتباك الشديد فأخذوا يتداولون في الخطر الكبير وما عسى أن ينفجر منه في مشرق العالم الاسلامي ومغربه . وقال أحد وزراء خارجية فرنسا : بالله ماذا وجدت إيطاليا في طرابلس السائبة لقد وجدت فيها مثل خلايا النحل المؤلمة ، ذلك لأنها لا تحارب تركية وحدها وإنما تحارب العالم الاسلامي جميعه .

ولما نشبت نار الحرب العثمانية مع متمصبة البلقان التابعين للدولة العثمانية أخذ العالم الاسلامي بروح واحدة جمعتهم من أقصاه في الشرق الى أقصاه في الغرب . وأخذ المسلمون يرتقبون الحوادث بقلوب هالعة فأجفلت لنبا غلب الجيوش العثمانية تجاه قوى لا قبل لها بها ، وكان لذلك من الوقع ما عبر عنه (نهرا) أحد المسلمين الهنود مخاطباً العالم الاسلامي بقوله : « إن ملك اليونان قد أوقد عليكم نار حرب صليبية جديدة تنتصر لها بريطانيا تعصباً للنصرانية على الاسلام ، ويأتمر لها وزراء روسيا في بطرسبورغ لرفع الصليب على قبة جامع أيا صوفيا . فالיום هم يأتمرون ويتشاورون وغداً سيعملون على الاستيلاء على مسجد عمر بن الخطاب ، المسجد الاقصى في بيت المقدس (تأمل) ايها الاخوة المؤمنون اتحدوا وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، فان الواجب يدعو كل مؤمن بالله ورسوله أن ينضم الى أخيه المؤمن تحت لواء الخليفة أمير المؤمنين ويجاهد في سبيل الذود عن حياض الاسلام والمسلمين . »

ولرب قائل : وماذا تفعل إعلانات الخليفة العثماني الجهاد ؟ ألم يقعد المسلمون عنه في كثير من بلاد الاسلام على كثرة عدد المسلمين فيما وراء حدود الدولة العثمانية ؟ وللجواب على هذا وجهان : أولها أن المسلمين

لم يكونوا على وفاق مع الدولة العثمانية في اعلان الجهاد ومشروعية اعلانه .
ذلك لأن الخلافة لم تعلن الحرب على امة معتدية على كيان الخلافة
والاسلام وإنما أعلنتها متدخلة بين خصمين ليس احدهما مسلماً ، فنصرت
الامان على الفرنسيين والانكليز وليس ذلك موضع العمل بركن الجهاد في
الاسلام . وثانيهما أن العالم الاسلامي لم يكن جميعه في قبضة الدولة العثمانية
عند دخولها الحرب ولم يكن معها منه غير بلاد الشام والعراق أما سائر
العالم الاسلامي فقد كان في قبضة الحلفاء الذين استطاعوا أن يسوقوا
جيوشاً اسلامية لقتال خلفاء العثمانيين أو قتالهم من طريق غير مباشرة .
ترى من هذا كله أن الاسلام ما فقد الذين يناصبونه العداء ويضعون
في سبيله الخطط والأحاييل لصدده والقضاء عليه . وبينما كان الاسلام في
جهاد مع عدوه في العصور الماضية لغرض نشر الاسلام وحماية الدعوة
والدفاع إذا به في العصور الحاضرة يواجه خصوماً ألداء هم أشد شكيمة
وبأساً وحيلة من خصومه في الماضي القديم . وعلى أن الاسلام قد وقف
عن الدعوة الى مبادئه بالقوة ولم يلجأ الى إعلان الجهاد من أجل هذه
الغاية فإنه يلاقي تحدياً من الدول المستعمرة وهي بتحديدها هذا تضع
للإسلام العقبات والعراقيل وتحاول انتزاعه من صدور المؤمنين وتربية
ابنائهم على تربية استعمارية تنسبهم اصلهم العربي ولغتهم العربية وتاريخهم
العربي الاسلامي وتهدم الجامع لتجعل منه كنيسة^(١) . فمطلت شعائر الدين

(١) كان في الجزائر يوم فتحها الفرنسيون ١٧٦٦ مسجداً وزاوية تقام فيها
الصلوات والشعائر الدينية غلبوا على أكثرها فحولوه الى كنائس وتكنات
عسكرية ومخازن وغيرها ولم يبق منها سوى ٤٨ مسجداً منذ زمن وربما قضوا
على بعض من هذه أيضاً .

وتشريعه وأباحت أوقاف المسلمين وأجازت امتلاكها واستيلاء الحكومة عليها وأهانت القرآن ومنعت تعليمه وقراءته بين كثير من قبائل المسلمين. وغير هذا فان هذه الدول قد استعبدت المسلمين انفسهم وجعلتهم من رعاياها وملكت ارضهم وخيرات بلادهم وآثارها وصاروا يستغلونها لانفسهم مثلما يستغلون بلادهم أو يزيد. فالجهاد اليوم أوجب على المسلمين منه في أي عصر مضى ولا يحول بينهم وبين الاجابة الى داعية ضعف ولا قلة ولا فقدان السكان السياسي والسلطان. فهم الآن حيال مكيدة مدبرة تهددهم بالبوار والهلاك. واذا ما تمكنت الامم المستعمرة لهم من ديارهم وثقافتهم وسياستهم وتجاوزت الى ما هو أبعد من هذا المدى الذي هم فيه فان المسلمين عند ذلك لا يجدون حيلة ولا قوة في الخروج على اضعف الأمم التي تغلبهم على نفوسهم وديارهم. مثال ذلك ان نضال اندونيسيا لو تأخر عن زمنه الذي وقع فيه لما أمكن الهولنديون أحداً من أهل تلك البلاد من حمل الابرة والعصا والسكين فضلاً عن المدافع والقنابل وسائر السلاح الحديث.

إن الحالة النفسية اليوم في بلاد الاسلام هي حالة من يرى نفسه في طور حاد من أزمة عصبية تأخذ بخنقه وتندره بالموت الاحمر فهو بذلك يتشبث من الحياة بكل سبب حتى وأن كان فيما يتشبث به خروجه الى خطر جديد. ومن أهم مظاهر هذه الحالة النفسية روح العداوة وحب الانتقام. ويكفي ان تستعرض في ذهنك صفحات الجهاد العربي السوداني مراکش والجزائر وتونس وطرابلس مع الاسبان والفرنسيين والاطاليين

وان تتذكر ثورات الحرية والاستقلال في مصر وسورية وفلسطين
والعراق وايران والافغان والهند في الشرق الادنى والوسط وان
تستلهم روح السكرامة المهانة في اندفوسية في الشرق الاقصى ، يكفي
مجرد هذا أن تثور في نفسك روح المقت والبغضاء للعلاقات المبطنة التي
يسبغ عليها الاستعمار لون الحضارة والثقافة المصطنع .

وقد حلت الكارثة البشرية الثانية سنة ١٩٣٩ ولكنها لم تحل بين
المجاهدين وطلب الحرية وظل سلاح الاستقلال مشرعاً في وجوه الاستعمار
في تلك الاقطار جميعاً وفي فلسطين جرح العرب الدامي بوجه خاص .

الجهاد في فلسطين

بازاء هذا الفضال العنيف بين العروبة والاسلام من جهة والصليبية والاستعمار من الجهة الاخرى في العصر الحديث يظهر في سماء الجهاد المقدس عدو قديم لدود للعروبة والاسلام ، هذا العدو هو اليهودية السياسية العالمية بجانب اليهودية الرأسمالية . ولم تكن عداوة اليهود للاسلام بالشئ الجديد ولا بالأمر الغريب فان الاسلام ما عرف عدواً قبل اليهودية ولا مثلها . ولقد دون القرآن هذه العداوة المسكينة فوصفها بأبلغ وصف وأظهر من معائب الخلق اليهودي ولؤم اليهودية وشؤم تاريخ اليهود ما لا يصل الى بعض بلاغته وصف . ومن حسن حظ المسلمين أن سجل القرآن هذه العداوة الحقيقية للمسلمين وفضح تحريفهم للتوراة وقتلهم الانبياء بغير حق وكفرهم بالرسول واتخاذ الاوثان والاصنام أرباباً من دون الله . يقرأ الطفل هذه الحقائق وينشأ على أخذها فتكون له منها مناعة تقيه شر اليهودية وحقد اليهود وتملؤه حذراً منه مهما كانت صلته به ومهما تقادم على العلاقة بينهما الزمان . وفي مقدمة ما نزل به الوحي من أمر هذه العداوة قوله تعالى (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا النصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون .

ولقد كانت اليهود يشتدون للمسلمين عداوة كلما نزلت آية تفضح طباعهم وتثير وقائعهم بالانبياء والمرسلين، وما كانوا يبيتون بالرسول أمراً

ولا يكيدون بالمسلمين كيداً إلا نبه الله عليه المسلمين وأنزل فيه القرآن قبل ان يتهيأ لهم اخراجه الى عالم الوجود . ولم يكن اغضاء الرسول (ص) عن فعال اليهود وتسامحه معهم يفيد فيهم شيئاً او يخفف من شرهم على المسلمين وانما كان يزيدهم هذا الاغضاء والتسامح شدة في العداوة ومبالغة في الوقيعة والمكر حتى هموا بقتل الرسول مرة وسموه مرة اخرى وتأمرؤا عليه مع اعدائه وأطلعوهم على مداخل المسلمين وهموا بفتنة المسلمين عن دينهم وإيقاد العداوة بينهم وطعنوا بالقرآن وانكروا ما في كتبهم المقدسة وآثار الانبياء من مصدقات التنزيل فقال تعالى فيهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) . حتى اذا ماضى بهم الرسول ويئس من كفهم عن اسباب العداوة والفتنة والنفاق والخداع ونسكت اليهود أنذرهم بالجلاء عن بلاد المسلمين وحاصروهم حتى اضطروا الى الخروج فنزل فريق منهم حصن خيبر وآخرون ساروا الى الشام حتى أتم عمر رضي الله عنه بعد ذلك جلاءهم عن جزيرة العرب . هؤلاء اعداء الاسلام الاولون الذين وصف رسول الله (ص) عداوتهم المتأصلة للمسلمين بقوله (ما خلا يهودي بمسلم إلا هم بقتله) يتوافدون اليوم على وطن العرب وأرض المسلمين من بلاد بعيدة وجنسيات شتى مزودين بنظام المدنية وتعبئة الحضارة ويستمدون من حقد اليهودية ومعوثة الشيوعية وتأيد الرأسمالية والاستعمار ما يدفعون به العرب والمسلمين عن وطنهم القديم وتراثهم الكريم وهم يؤلبون على العروبة والاسلام كل ما يطبقون

تأليه من مال ورجال ونظام . لقد استطعنا منذ أعزنا الله بالاسلام أن نعيش مع اليهودية الموسوية المؤمنة بالتوراة على ما بيننا وبينها من خلاف في العقيدة والطباع ولسكننا لن نمكن لهذا العدو الاجنبي الغازي يحط رحاله في أرض المسيحية الهادئة والاسلام المجاهد ، وسيصدق فينا وفيهم قوله تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) وقوله تعالى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله) وقوله صلى الله عليه وسلم (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله) .

ولقد كنت أريد أن أختتم رسالتي هذه ببحث موجز عن فلسطين وجهاد المسلمين في هذه الأرض المقدسة التي برزت فيها مظاهر الجهاد المقدس بكل أوصافه ومرامييه وتضافرت فيها جهود العرب عامة مسلمين ومسيحيين حتى لا تجد فرقاً بين الغاية القومية والغاية الدينية . ولكن تطور الاحوال في فلسطين وتأمر هيئة الأمم المتحدة مع الصهيونية على العرب حال دون الوصف والتاريخ وإن الحوادث بتطورها الحاضر لتغني في صميمها عن محاولة استيعابها بالوصف . فأن مما لا يشك فيه أحد أن العرب والمسلمين عامة اليوم في حالة جهاد في وجه الاعتداء على هذا الجزء الطبيعي من بلادهم وانهم قد عزموا على انتقاذه مهما بلغت تضحياتهم في سبيل هذا الانتقاذ . فقد تحقق لهم أن خطر الصهيونية قد تفاقم وبلغ من القوة ما أغرى ثلاثة وثلاثين أمة بالعطف عليها والتصويت الى جانبها في هيئة الامم المتحدة . ومهما قيل في العوامل التي وصلت بها الصهيونية الى هذه الغلبة فان الواقع يؤيد

ان الصهيونية تملك من الوسائل العديدة غير المشروعة المادية والمعنوية ما يمكنها من المحافظة على هذه المسكنة السياسية التي وصلت اليها بجهودها وأساليبها المعروفة .

ان استمرار الجهاد في العالم الاسلامي لا يظهر بعد الحرب الأولى في مكان ما ظهوره في فلسطين . ومنذ أعلنت عصبة الأمم انتداب بريطانيا على هذا البلد المقدس رأينا أن العرب يتيقنون ان (النبي) لم يكن مخلصاً في دخول هذه الزاوية من بلادهم ، وان الخطر الذي يكمن في هذا الفتح وفي صك الانتداب ووعد بلفور والهجرة اليهودية واستيلاء اليهود على أراضيهم انما هو خطر عميم لا يقف عند زمان أو مكان ، فهبوا للدفاع ودام دفاعهم هذا بالتي هي أحسن تارة وبالسيف اخرى منذ سنة ١٩١٨ الى يومنا هذا ، يناصروهم في جهادهم سائر العالمين الاسلامي والعربي . والعرب وجميع المسلمين اليوم يعلنون انهم متأهبون بالمال والسلاح لانقاذ فلسطين وابعاد الغول الصهيوني عن البلاد العربية والشرق الادنى والاوسط ، يستوي في هذا الاعلان شعوب المسلمين والعرب وحكوماتهم ، مصممين على عدم الوقوف في جهادهم حتى يخرجوا الصهيونية من بلاد العرب ويفهموا الدول التي ناصرتها بان للعرب والمسلمين كياناً دينياً وسياسياً وقومياً لا ينقص منه ما تتوهمه هذه الدول من ضعف في العالم الاسلامي صوره لهم زعماء الصهيونية ومشايعوها في امريكا وأوروبا وسائر اقطار العالم .

والعرب في تمويلهم على انقاذ فلسطين يضغطون على حكوماتهم
وقوائم الشعبية أن تدخل فلسطين وان تحتلها الجيوش العربية النظامية وغير
النظامية لاعادتها الى حضيرتها التي اقتطعت منها اقتطاعاً جائراً من أجل
تهويدها وجعلها وطنياً قومياً ليهود العالم .

الصهيونية والاستراب

تقوم النظرية الصهيونية على فكرة الغزو والاستيطان القهري وعلى
حظ ضئيل من العلاقة التاريخية السحيقة . ومع هذا تجد الصهيوني يؤمن
إيماناً قوياً بأنه على حق وان هذا الحق يبرر كل ما يجعل بينهما من واسطة
ثم استطاع الى هذا أن يحرف جانباً كبيراً قوياً من الرأي العالمي الى
جانبه ، يستعين به على حمايته وامداده بالدعاية والقوة والمال .

والموطن الذي يريده الصهيوني وطن عربي مقدس حفظه العرب بدمائهم
وكرامتهم مدى اجيال عديدة ، لم يذمهم في حمايته ورعايته يهودي ولا
مسيحي ولا مسلم ولم يكن لهم من هذه الحماية والرعاية مطمح دنيوي ولم
يجعلوا منه وسيلة الى الفتح والغزو والاستعمار ولم تدب اليه القوضى
والاضطراب حتى دخله شداد من آفاق الدنيا وجدوا من ورائهم من
يدفعهم الى فلسطين دفعاً لغايات واطماع لم تكن خافية على ذي بصيرة ،
فراحوا ينشدون وطناً رمزياً للعبادة والروح ، وصيغت لهم هذه الوطنية
صياغة مبطننة على رغم أهل البلاد ولم تمض تلك المدة التي فاتت بين الحرين
حتى صارت فلسطين تعج بالصهيونيين المهيأين للعمل والكفاح واحاطتهم
بريطانيا بسياج من الصيانة والرعاية فلما اطمأنت الى كفايتهم في القوة

والدفاع راحت تتصنع الصخب عن غلو اليهود واسترسالهم في اطماعهم
واعلنت انها برمت بهذا الغلو والاسترسال وانها لا تجد سبيلاً غير
خروجها من فلسطين وسمرعان ما أعلنت بريطانيا عزمها على الجلاء من
الأرض المقدسة وما اقرب الاجل الذي ضربته ليوم الخروج بعد بقاء
دام ثلاثين سنة وبعد طروء مصاعب وعقبات كانت ظروفها تدعو الى تعجيل
بريطانيا رحيلها عن البلاد قبل هذا الأوان .

والواقع ان بريطانيا لم تختص بالانتداب على فلسطين تحقيقاً لاغراض
الانتداب التي وضعتها بالاشتراك مع الدول المنتصرة بعد الحرب ولكن
تحقيقاً لوعودها لرجال الصهيونية الذين قدموا لها المعونة في الحرب ثمناً
لفلسطين .

ومن الواضح انه لم تكن إذ ذاك صهيونية منظمة ولا شعب صهيوني
جاهز للانتقال الى فلسطين . فكان لا بد أن تنهأ الصهيونية للانتقال الى
الوطن المرعود (وعد انكلترة لا وعد التوراة) وان تهيمن انكلترة على
فلسطين ريثما يتم استعداد الصهيونية وتكون لها في البلاد عدة وصناعة
وعدد . وكان ان شرعت الهجرة الى فلسطين فصار البولوني والالماني
والاميركي وغيرهم ينقلبون فلسطينيين بمجرد تصريح الوكالة اليهودية لهم
بالجنسية الفلسطينية حتى وان لم تطأها اقدامهم أيضاً .

وضاعفت انكلترة من سرعة الآلة الصهيونية فصارت تمكن اليهود
الاجانب من اكتساب الجنسية بطريقتين إحداها دعوتها بالشرعية وهي التي
تكتسب بالتخصيص لعدد معين من اليهود يدخلون فلسطين باطراد منظم

كل سنة أو عدد من السنين كالدفعات التي عينها الكتاب الأبيض وبعض تقارير اللجان ، أو كل شهر كالحصص التي عينتها الحكومة الانكليزية بعد انتهاء مدة الكتاب الأبيض واخراجها دعماً غير شرعية وهي الخطة التي نفذها زعماء الصهيونية منذ زمان بعيد على علم من الحكومة البريطانية لم تعارضهم فيها ولم تتخذ بازائها أية تدابير رادعة . وسارت آلة الهجرتين بإطراد وانتظام فكان رجال الصهيونية يضعون مايشاءون من خطط وشروط لتجهيز اليهود الى فلسطين وكانوا يقدمون رجال العلم والصناعة والشباب الفني فقامت لذلك من الهجرة وباطرادها صناعات واعمال وجند الشبان ونظمت الفرق الحربية المزودة بكل أنواع السلاح . وكانت الحكومة الانكليزية تشجع هذه الخطط وترتاح لتسلح الصهيونيين ونظامهم الحربي وتساعد على ظهور الجندي الصهيوني المسلح الى جانب الجندي الانكليزي نفسه .

هذا من حيث الهجرة المنظمة والسلاح أما من حيث الاستيلاء والاستعمار فان تاريخ الانتداب الانكليزي يرينا فظائع لم يعرف التاريخ لها مثيلاً . ذلك ان الحكومة الانكليزية صارت للصهيونيين عوناً في الاستيلاء على أرض العرب ومزارعهم وبساتينهم واوديتهم الحصيبة وغضت الطرف عن اعتداءاتهم على عقارات العرب . وفي كثير من الحالات كان اليهود المسلحون يهجمون على الفلاحين فيخرجونهم من ارضهم ثم يستغلونها كما لو كانت اموالهم منذ أمد بعيد . فاذا ما التجأ العربي الى المحاكم رأى طرقاً معوجة من الغش والتدليس والتواءات في طرق المرافعات

حتى يئأس من ملك أبيه وأجداده فيرجع الى بيته خريان تترقرع عيناه
بالدموع ويتعرض أهله وعشيرته وفلاحوه للموت من الفاقة والعري
والجوع ، ذلك لأن سبب حياته قد اغتصب من بين يديه اغتصاباً .

وسالت المستعمرات الصهيونية بالغلة والصناعة والتجارة ووجدت
حولها من الاسواق العربية في فلسطين وغيرها متسعاً لكل ما يفلون
ويصنعون ويبيعون ويشتررون .

ولم يكن الخطر الصهيوني بعد قد ايقظ العربي كل الايقاظ ولم يرعه
من حسن نيته ومأمنه الوديع . وكانت انكلترا تقف بين العرب والثورة
الجارفة وأعانها على تهدئتهم وحملهم على حسن الظن رجال العرب
وحكوماتهم الموالية لبريطانيا بالحلف والمواثيق .

أما موقف انكلترا من العرب فكان واحداً لم يتغير منذ دخلت
أرض فلسطين فاتحة حتى اليوم . ذلك ان وصفها في الارض المقدسة لم يكن
غير وصف المنتدب على انشاء الدولة الصهيونية وتوطيد النفوذ الصهيوني
واتساع رقعته ومضائه في القوة والسلاح . وكما أحس العربي بالخطر
وتعرضت له علامات المستقبل الاسود في آفاق فلسطين كنت ترى الحكومة
الانكليزية تنقلب الى سبع ضار متجههم ينهش العربي ويتناوله من كل
مكان . فاذا ما تدمر واشتكى وتخوف أو احتج أو تظاهر أو أضرب
قامت قيامة السجون والمعتقلات والمنافي ولعلع الرصاص وانقذفت القذائف
وانصبت الحمم ودوت الطائرات في الآفاق . وكم من مدن خربت وقرى
سكت ومنازل نسفت على ساكنيها وكم من مزارع ابيدت وكم من نساء

أيحت وكم من محارم هتكت ! لم يسلم من فضائع انكلترا صبي ولا طفل
وضيع ولا امرأة ولا شيخ ولا ذو ضلف ولا ذو حافر. ان الوقائع تفوق
الحصر والفجائع تفلت من نطاق التسجيل .

لقد انقلبت انكلترا على العرب الى وحش كاسر خرج من وصف
المتمدن ولم يبق له من وصف الانسانية أي نصيب . ان تاريخ الانتداب
الانكليزي على فلسطين سبة من أسود سبات الدهر وان العرب لن يغفلوا
عن اثبات وقائع هذا الانتداب ولن يغفلوا هذه الامثلة من ضروب
التقتيل والتمثيل والتشويه والسجن والنفي والتشريد والتجويع ولا اهانة
الروح العربي المدافع عن وطنه ودينه وعرضه .

ولم فعلت انكلترا كل ذلك ؟ انما فعلته في سبيل البر بوعودها
للصهيونية في حرب ١٩١٤ . فقد وعدت ان تمنح اليهودية العالمية فلسطين
على شرط ان تحميها لهم وتحميمهم فيها حتى يتم لهم فيها عدد موفور
وارض عامرة ومصانع منتجة وجيش مدجج بالسلاح وجهاز دولة كامل .
وقد فعلت انكلترا ذلك وبرت بوعدها على اوفى ما يبر واعد بوعده ،
فهي اليوم تطمئن الى ان الصهيونية قد شبت ونمت واستقام عودها فلا
خوف عليها (في نظرها) بعد الآن . فلتخرج ولأم العرب الهبل .
ومع كل ذلك فان هناك من يعتقد ان انكلترا انما تخرج من
فلسطين حرجاً وضيقاً باليهود !

أمريكا والصهيونية

والواقع أن الصهيونية ما كانت تقوى على الوصول الى غاياتها لو كان

سندها في القوة حكومة الانتداب وصك الانتداب وهذه القوة التي بلغت بجهداتها الفائقة مدة ثلاثين عاماً وتزيد فحسب ، فقد انكشف الأمر عن مصدر جديد للصهيونية كان يعاونها في تيار من السياسة والاقتصاد لم يكن العرب يدركونه أو يقدرّون خطره حق قدره . هذا المصدر البعيد عن أنظار العرب قبل اليوم هو أميركا وما في أميركا من نفوذ يهودي يتناول قوام السياسة الأمريكية ومناهجها العامة في الاقتصاد . يوضح لك هذا تصريح بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية الحاضر منذ نحو خمس عشر سنة إذ قال : إن على السياسة الصهيونية أن تضع في طوعها وتحت تصرفها أكبر رجال السياسة الأمريكية وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية الأمريكية نفسه (١) . ولم يكن العرب يعلمون أن الصهيونيين قد نفذوا منهمجهم هذا فوضعوا أقطاب الأحزاب الأمريكية في شبكة محكمة الحلقات لم ينفذ منها واحد منهم . فقد عرف الناس جميعاً أن ترومان وهوفر وديوي ووالاس من رؤساء الجمهورية والمرشحين للرئاسة إنما كانوا يتقدمون إلى الطائفة اليهودية الأمريكية في مناهجهم للوصول إلى رئاسة الجمهورية الأمريكية لا إلى الشعب الأمريكي الذي يبلغ تعداد مئة وثلاثين مليوناً أو يزيد . وإن المنهج الذي يتقدم به الرئيس والمرشح للرئاسة إنما هو مادة واحدة لا غير ، هذه المادة الوحيدة هي تحقيق منهج

(١) أنظر التقرير الصهيوني السري الذي وضعه ابن غوريون ونشره المكتب

الصهيونية على حساب العرب في فلسطين ! ومثل ذلك قل في سائر رجال
السياسة الامريكيين لا سيما أعضاء مجلس الشيوخ . وما من حادثة في
التاريخ تضاهي هذه الحادثة الشاذة التي تستسيغ السياسة العالمية شذوذها
قربى من اليهود ، هذه الحادثة أن يقبل العالم أن يكون الألماني والبولوني
والتساوي والروماني والامريكاني وغيرهم من ذوي الجنسيات والتبعيات
الدولية الصريحة فلسطينيين بمجرد أن تطأ أقدامهم أرض فلسطين أو بمجرد
أن تمنحهم الوكالة اليهودية تصريحات من عندها بأنهم صاروا فلسطينيين
ولو أنهم لم يبارحوا الوطن الذي يزاجون بجنسيته جنسية الوطن الجديد
وطن العرب ومهد الاسلام !

إن القوة الامريكية هي التي تكفل للسياسة الصهيونية تنفيذ الدور
الثاني أي الدور التنفيذي لسياسة الدولة الصهيونية . هذا الدور الذي بدأ
ظهوره للعرب بالعيان منذ بعثت السياسة الامريكية باللجنة التي أضفت
الوصف الرسمي على وعد ترومان بادخال مئة ألف صهيوني الى فلسطين ،
وتفاهم أمرها بالمؤامرة التي حاكت خيوطها حكومة الرئيس ترومان في
أورقة هيئة الأمم المتحدة في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٤٧ . وقد
بدأت هذه المؤامرة ترتدي ثوباً جديداً من المبكر بالعرب وخداعهم
بتصريحات ترومان ووزير خارجيته بالعدول عن التقسيم الى الهدنة فالوصاية
وإعادة عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ليكسبوا القرار الأول قوة
جديدة بالاصرار على التقسيم أو الخروج بقرار إضافي يتمسكون به
للقضاء على جهاد العرب والمسلمين !

والظاهر بل الواقع أن أمريكا لم تكن تشتط في تأييدها للصهيونية
هذا التأييد لو كانت على علم ولو ضئيل بالوجه الثاني من المسألة الصهيونية.
وقد زادها جهلاً بهذا الوجه ، أعني جانب العرب وسكانها الأصليين ،
أن الصهيونية بالغت في وصف العرب بالجهل والانحطاط والتأخر في مضمار
الثقافة والاجتماع والاقتصاد وصورت للأمريكان بأن الصهيونية ستعود
على العرب بالحياة الرخية والعيش الرغيد والخروج من طور البداوة والرعي
إلى طور المدنية والنظام ! وقد بلغ بوسائل الدعاية وكثرة الاعادة أن
صار هذا المنطق الصهيوني حقيقة بديهية في أذهان الأمريكان وزاده
وضوحاً في إفهامهم جانب العطف الديني والانساني على قوم حرموا من
الموطن فيكون عند حائط المبكى كل عام ملكاً فقدوه منذ دولة سليمان !

الروسية والصهيونية

وليت السياسة العالمية وقفت عند هذا الحد من التخاذل أمام
الصهيونية العالمية والاستخذاء لباطلها الصريح ، فقد كسب الباطل الصهيوني
العالم اليساري الشيوعي مائلاً في حكومة ستالين وممثلي ستالين في هيئة
الأمم المتحدة ومجلس الأمن ثم من يجري وراء الخطر الشيوعي المرعب من
مشايخي السوفييت في أوربا الشرقية . ولقد أثبت واقع القضية الصهيونية
في فلسطين أن غروميكو وفيشنسكي ومثلي بولونيا وأوكرانيا أقسى على
العرب من الأمريكان والانكليز حتى ومن رجال الصهيونية أنفسهم !

إن العالم العربي والإسلامي كان يتطلع إلى دولة قوية تأخذ بيده
وتضيء له طريق الديمقراطية الصحيح . وكان إلى هذا يرى في روسيا

يوصفها عدواً للرأسمالية الاستعمارية في العالم عضداً له على نضال الصهيونية الدولية التي تستبين فيها هذه الرأسمالية الاستعمارية على أوفى حقيقة وأوضح مثال . وما كان العالم الاسلامي والعربي يعلم أنه سيجد من روسيا الشيوعية عدواً لقوميته ودينه وعقبة في طريق جهاده ونضاله مثل هذا الذي وجد منها في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن . إن ممثلي روسيا الشيوعية قد أظهروا من الصلابة والعناد في وجه العرب ومن القسوة في التنكر لحقهم في الدفاع عن أنفسهم ووطنهم في أحفل ميدان للدفاع عن النفس والحقوق ما لا يشرف تاريخ روسيا الشيوعية ولا يقوم لها ولمذهبها سنداً ، ولو ضعيفاً ، بين يدي الشعوب المستضعفة التي يتآمر عليها أعداء الشيوعية أنفسهم .

لم نسق هذه الكلمة الموجزة في موقف أمريكا وروسيا من تأييد الصهيونية إلا لنبين أن صفحة الجهاد في فلسطين قد أخذت طوراً معقداً وأن العرب والمسلمين مجتمعين يواجهون وحدهم مجردين من كل عطف دولي كفاحاً لا عدل بين طرفيه : طرف الصهيونية العالمية والدولية الامريكية والجبروت الروسي وكل ما في هؤلاء من قوة ونفوذ وطرف العرب الذين لا يملكون غير الايمان بالحق والحماسة في الدفاع عن الذمار ، قلة في المال وضعف في السلاح ، حتى مواردهم الطبيعية فهي ملك للرأسمالية التي قامت عليها الصهيونية العالمية في فلسطين وفيما وراء فلسطين . أعني الرأسمالية الانكلاو أمريكانية التي يستند اليها اليهود في قتال العرب ومحاولة إخراجهم من فلسطين وغير فلسطين .

إن جهاد المسلمين وإلى جانبهم العالم العربي كافة ليس له نظير في تاريخ

الاسلام فهو أكبر خطراً وأوسع مجالاً وأبعد أهدافاً وأشد وطأة وأثقل حملاً حتى من جهاد المسلمين في حروب الصليبيين ، ومحنة المسلمين فيه أكبر من محنتهم ببلاد الأندلس .

والأساس الجديد الذي يصوغ العرب به نظريتهم في الجهاد للاحتفاظ بفلسطين يقوم على الأسس التالية :

١ — إن المسلمين في جهاد واقع مع اليهود الأجانب الذين يحتلون بلادهم ويعتمدون في احتلالهم لها على السلاح يؤيدهم في هذا فتاوي الجهاد التي صدرت من قبل والتي صدرت هذه الأيام من علماء ومفتين وهيئات دينية في جميع الأقطار الاسلامية ؛ من الباكستان الى مراكش .

٢ — إن فلسطين جزء طبيعي من البلاد العربية اقتطع منها لجعله وطنياً قومياً لليهود بناء على اتفاق اليهودية العالمية مع السلطات السياسية في انكلترا وأمريكا وروسيا الشيوعية وغيرها وأن العرب والمسلمين اليوم يريدون إعادة هذا الجزء الى جسمه بعد أن افتضحت لهم هذه السياسة وفشل الانتداب الذي جرّ بالبلاد الى هذه الهاوية السحيقة بدل رفعها أو العمل على استقلالها وبعد أن استقلت البلدان العربية التي فرض عليها الانتداب مع فلسطين .

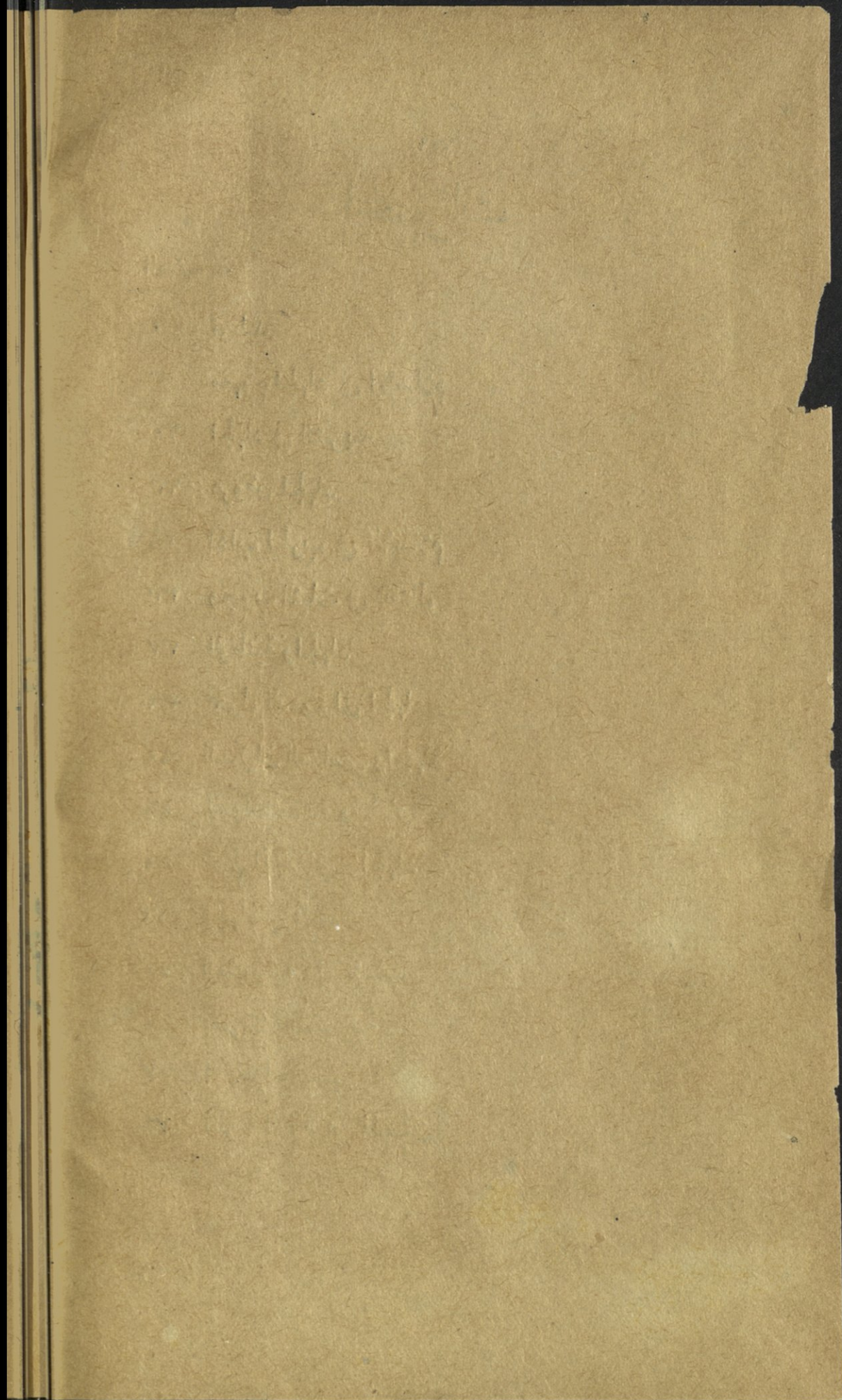
٣ — إن العرب في فلسطين قد ثقلت عليهم اعباء الجهاد وهم عزل قد جردتهم سلطة الانتداب حتى من الابرة والعصا على حين شجعت اليهود على التسلح وانشاء المساح جهراً وعلناً فهم لذلك مهددون

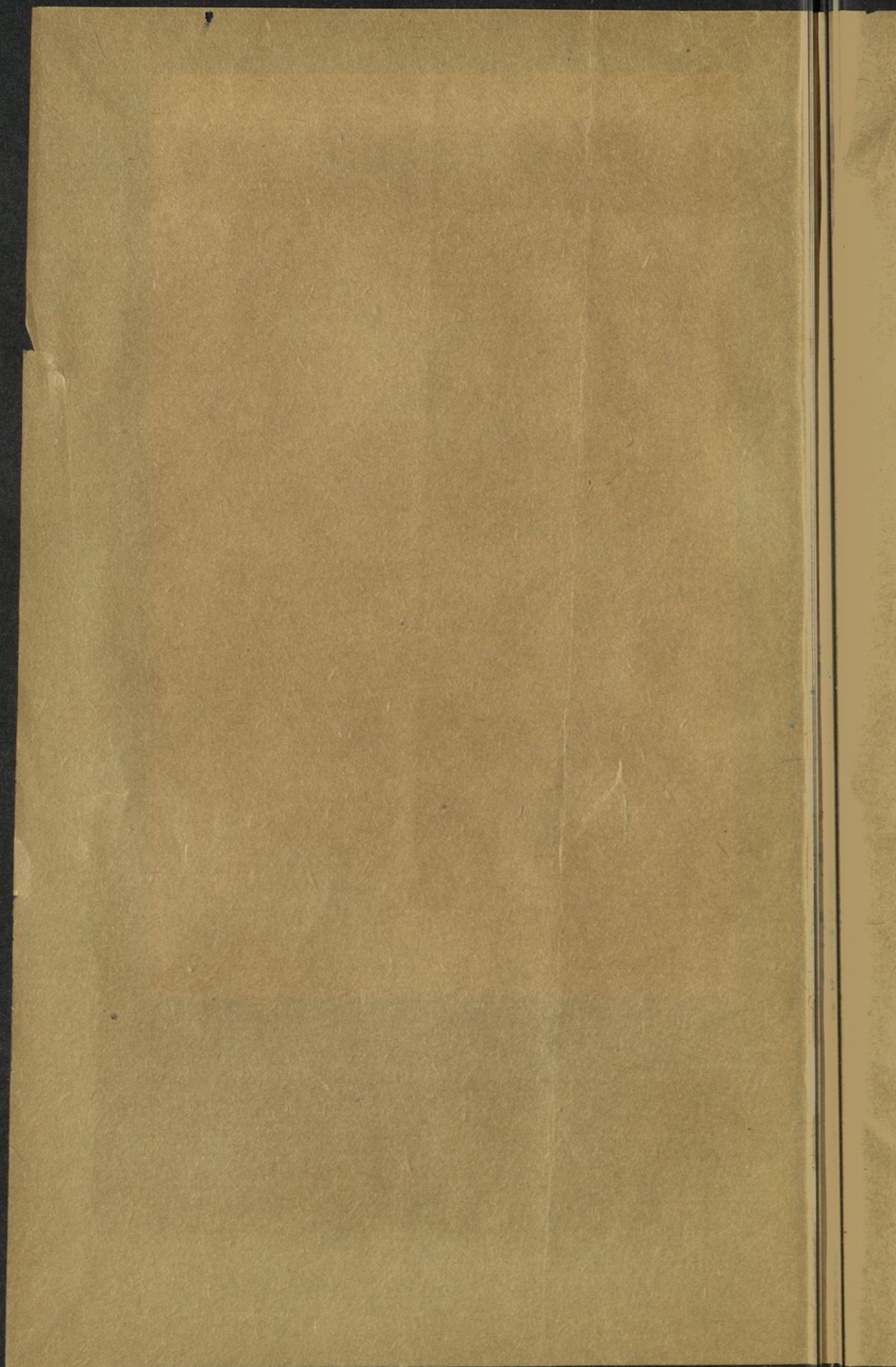
في انفسهم واموالهم واعراضهم وقد استنجدوا باخوانهم العرب والمسلمين ولا يسع هؤلاء الا نجدة اخوانهم وبني جلدتهم بعد ان اصبحوا في بحر من الطفيان الصهيوني وعدوانه المسلح ومن ورائه أمريكا ودولة الانتداب وروسيا الشيوعية .

٤ — ان العرب والمسلمين يدركون خطر انشاء دولة يهودية في فلسطين وما ترمى اليه هذه الدولة من الغايات السياسية والاقتصادية في بلاد العرب . وان ادنى تهاون منهم يجعل هذه الدولة يستفحل أمرها حتى تهدد كيائها السياسي والقومي في الصميم . لذلك هم يريدون الاسراع في دخول الاراضي المقدسة للوقوف أمام الهجرة اليهودية وإغراق البلاد بالشباب الصهيوني المسلح الذي يربط في قبرص ومواني البحر الابيض والبحر الاسود وفي سائر اقطار العالم . فاذا ما تحقق للعرب والمسلمين السير على هذا المنهج وجمعوا قواهم مستبسلين كان جهادهم موفقاً مبروراً وتيسر لهم الخلاص من خطر ينذر ملاحمتهم بالزوال مـ

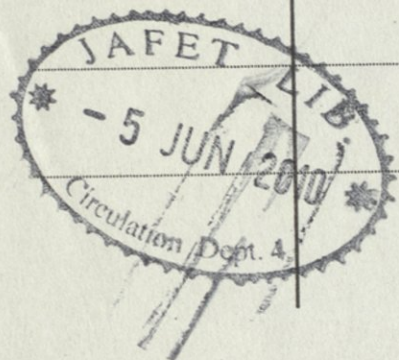
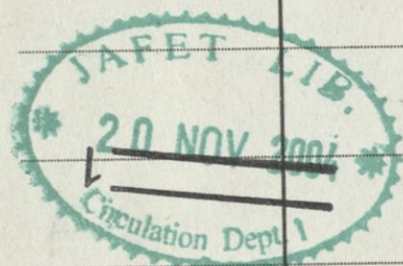
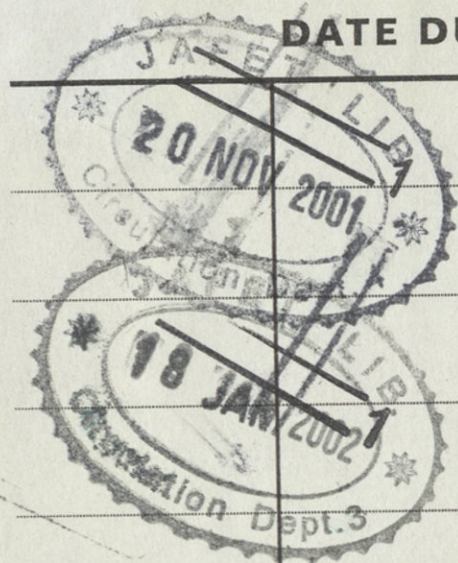
المحتويات

الصفحة	
٢	توطيد
٣	مفهوم الجهاد في الاسلام
٢٠	الجهاد في الشريعة
٢٣	عروض الجهاد
٢٩	آداب الحرب في الاسلام
٣٣	وجوب الثبات في القتال
٣٧	الوطنية والجهاد
٣٩	محول الدعوة الى الجهاد
٤٤	الكيان السياسي والجهاد
٤٩	الدولة العثمانية والجهاد
٥٤	العالم الاسلامي والجهاد
٦٦	الجهاد في فلسطين
٧٠	الصهيونية والانتداب
٧٤	أمريكا والصهيونية
٧٧	الروسيا والصهيونية
٧٩	نظرية الدفاع عن فلسطين





DATE DUE



297:M99jA:c.1

مصطفى، خالد

الجهاد في الاسلام

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01004215

American University of Beirut



297

M99jA

General Library

297
M99jA
C.1